Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدكتور يوسف درويش عوامله

تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ١٩٨

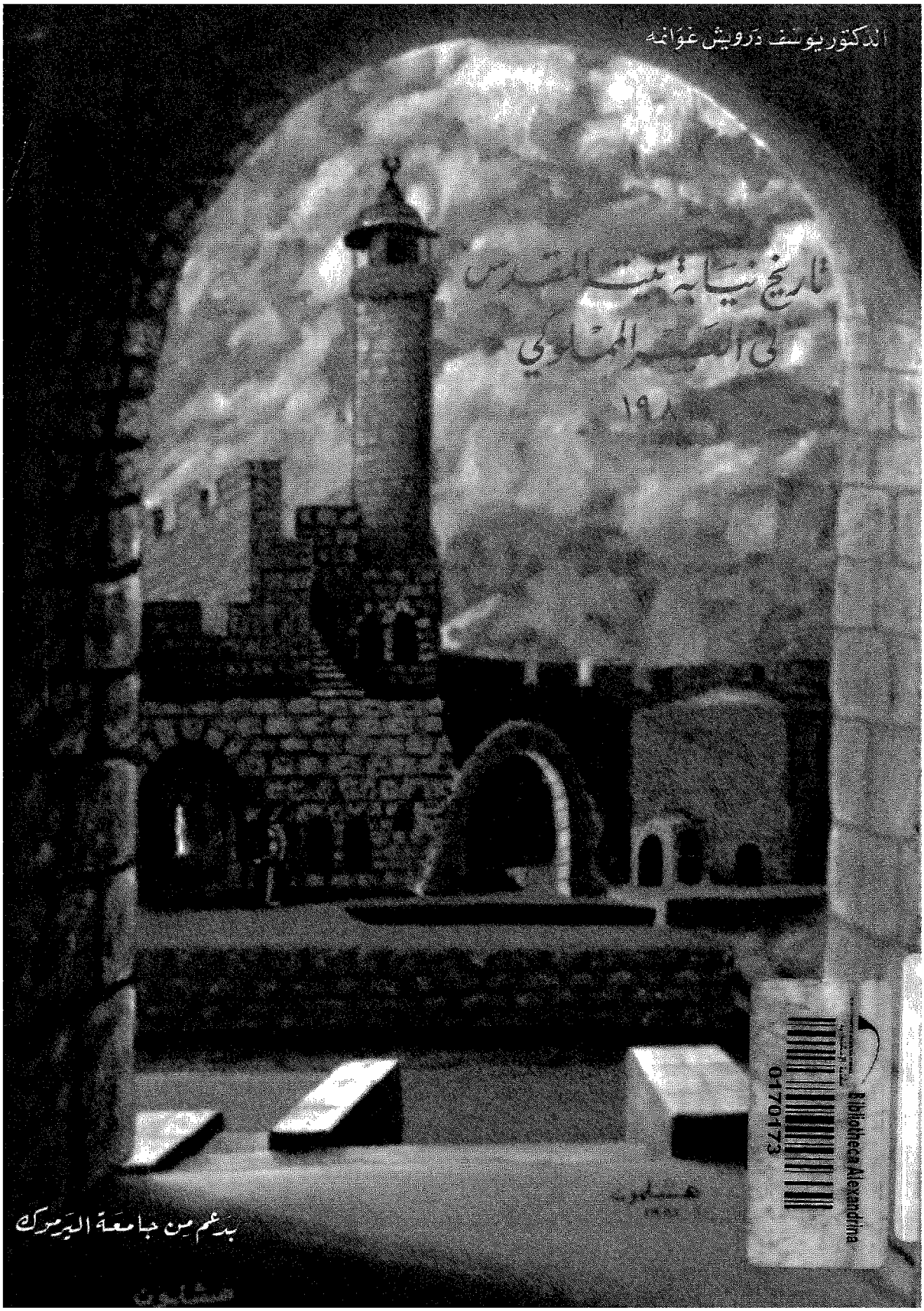

Bibliotheca Alexandrina
0170173

بدعم من جامعة اليرموك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

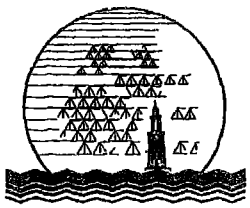

مهداة من :

مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

جامعة اليرموك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

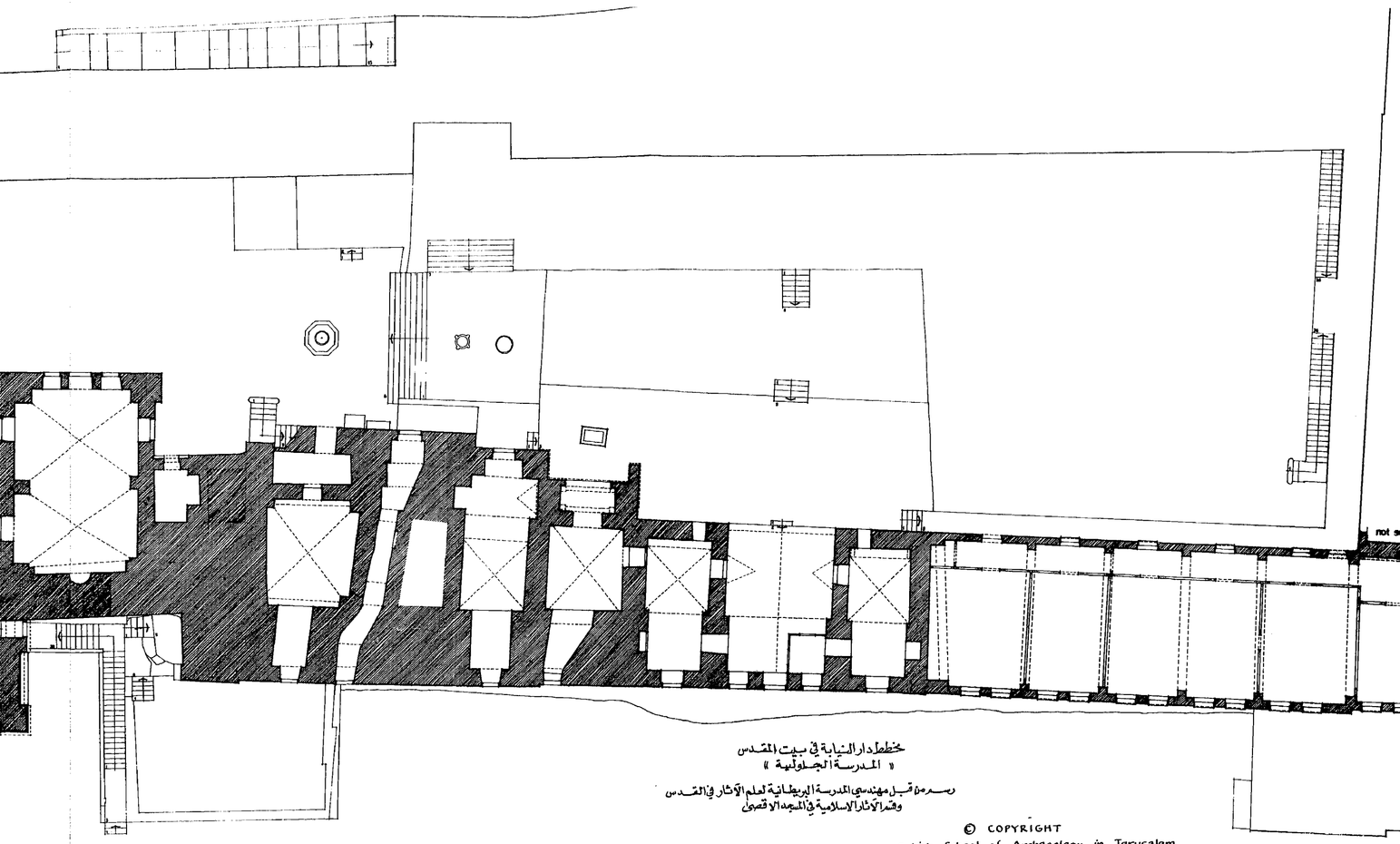

خططدار النيابة في بيت المقدس
« المدرسة الجلولية »

رسم مع قبل مهندسي المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس
وقسم الآثار الاسلامية في المسجد الاقصى

al-Haram al-Sharīf

© COPYRIGHT
British School of Archaeology in Jerusalem
Drawing Nº 150

Scale 1:100

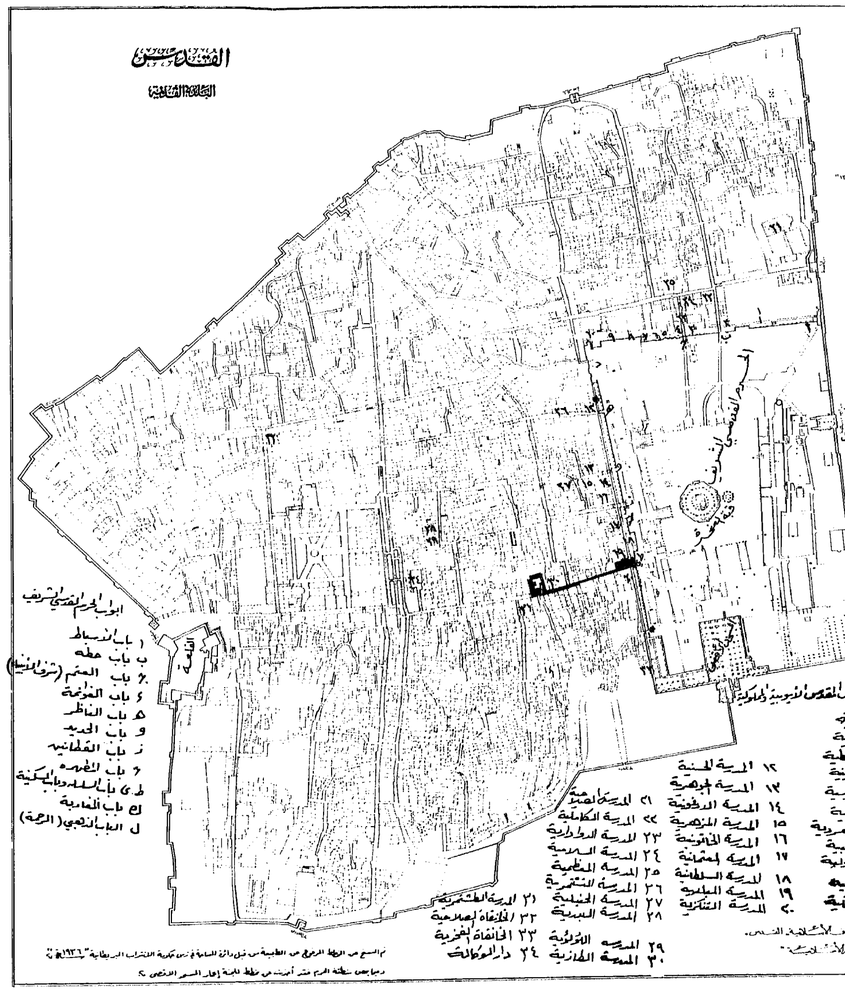

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ نيابة بيت المقدس
في العصر المملوكي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دار الحيـاة

الأردن - عـمّان
ص.ب: ٩٩١٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدكتور يوسف درويش غوانمه

تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي

١٩٨٢

بدعم من جامعة اليرموك

جَميعُ حقوقُ الطبع
محفوظة لـدار الحيَاة
للنشـر والتوزيـع
الأردن - الـزرقـاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإهـداء

الى الشعب العربي الفلسطيني أينما وجد . والى كل شهيد قضى على ثرى فلسطيننا الحبيبة . والى قدسنا الصامدة التي وقفت شامخة تتحدى المعتدين والغاصبين واحتفظت بعروبتها على مر العصور . والى أمتنا العربية من المحيط الى الخليج التي آن لها أن تصحو وتتحد وتحطم آفة الفرقة والخلاف .

اهدي هذا الكتاب ، فايماني بأمتنا العربية دون حدود .

المؤلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدّمة

تفتقر المكتبة العربية الى دراسات متميزة عن بيت المقدس ، فالدراسات عن تاريخ مدينة القدس باللغة العربية محدودة ومعدودة . ومن المؤسف أن المدينة لم تلق مثل ذلك الاهتمام الذي كانت تحظى به في العصور الوسطى حيث قامت دراسات ومؤلفات عديدة عن القدس وفضائلها وخططها وعلمائها . وعلى النقيض من ذلك نجد المكتبة الاوروبية زاخرة بعشرات الكتب عن مدينة القدس ، حتى أنهم يقومون بإعادة طباعة كتب الرحالة الذين زاروا فلسطين والقدس في القرون الوسطى والعصر الحديث عدة مرات وترجمتها الى لغات جديدة . ناهيك عن الدراسات والمؤلفات العديدة ذات الطباعة الانيقة عن القدس ، وهدفهم من ذلك إثبات ما يدعونه من حقوق في فلسطين الغربية .

ونسمع أحياناً نداء مبحوحاً لبعض كتابنا يتساءلون قائلين ، لم هذا الاهتمام في التراث والكتابة في الماضي ؟ فنحن أبناء الحاضر والتاريخ هو ابن الساعة وأحداثها . وأقول لاولئك ، ان ما يربطني بأمتي ووطني هو تراث خالد منذ آلاف السنين ، هذا التراث هو جذور الامة في أعماق تاريخها ، فالامة التي لا جذور لها ولا تاريخ ، ليس لها حاضر ولا مستقبل . فالتراث هو دراسة للماضي ونظرة أمل للمستقبل وبناء في الحاضر ، ومن هنا يتوجب علينا الاهتمام بذلك التراث وتحقيقه ، كي نعرف ماضينا والذي من خلاله نهتدي لمستقبلنا . فالقدس وبلاد الشام عامة كانت منذ فجر التاريخ مطمعاً للغزاة والمعتدين ، ولكن أمتنا كانت الرابحة في كل العصور ، وبقيت القدس عربية الهوية والطابع .

ان التحدي الذي يواجهنا اليوم يماثل تحدي الفرنج لأمتنا في العصور الوسطى ، وان الحالة المريرة التي وصلت اليها أمتنا تشابه أحوال العرب والمسلمين في الماضي ، تفرقة عنصرية ومذهبية وطائفية ، وخلافات وانقسامات وصراعات سياسية وأطماع توسعية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولجوء الى العدو والتحالف معه ضد الأخوة والأهل ، وتآمر ومؤامرات داخلية وخارجية ، وانحلال خلقي ، وتقاعس واذلال ومهانة حتى ذبح الفرنج العرب والمسلمين في بيت المقدس ذبح الشياه . ولم يفق العرب والمسلمون من هول صدمة الاحتلال الصليبي إلا بعد أن قيض الله لهم القائد المخلص الذي نذر نفسه للجهاد ولم الشمل وتوحيد الصفوف ، فكان عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي . ولم ينتصر صلاح الدين ويحرر القدس الا بعد أن وحد الجبهة العربية الاسلامية ، وجمع الجيوش من مصر والشام والعراق وسارت تحت قيادة واحدة ، وحدد هو زمان ومكان المعركة ، فانتصر وأعاد القدس الى حظيرة الحكم العربي الاسلامي . ونحن اليوم أحوج ما نكون الى توحيد الجيوش العربية مصرية وشامية وعراقية ، وان تكون الجيوش العربية الأخرى ظهيرة جيوش المواجهة ترفدها بالمال والرجال والعتاد ، عندئذ سيكون النصر حليفنا أن أخلصنا النية لبعضنا ولأمتنا الواحدة ، ان حاضرنا أسود مشين والتاريخ لن يرحم .

وتجدني في هذه الدراسة أسير في خط واضح بيّن ، وهو إبراز أهمية القدس في تاريخنا الوسيط ، واهتمام السلاطين المماليك بها ، حتى أنهم جعلوا منها نيابة مستقلة . وكانت لها في نفوسهم موضعاً خاصاً ، فالسلطان قلاوون نعت نفسه في إحدى معاهداته مع الفرنج (بسلطان بيت المقدس) دليل افتخاره بهذه المدينة العريقة ، ولكي يدلل على أهميتها ومكانتها في نفسه ونفوس العرب والمسلمين .

ودراستي هذه هي أول دراسة عن (نيابة بيت المقدس) ، تناولت فيها تأسيس النيابة ، وطرحت قضية خالفت فيها بعض المؤرخين ، وهو ما يتعلق بتأريخ التأسيس : ثم عن دار النيابة ومتى أصبحت المدرسة الجاولية داراً للنيابة ومكان سكنى لنواب القدس ، وكان هذا هو الفصل الأول .

أما الفصل الثاني فقد جعلته للحديث عن الوظائف في نيابة بيت المقدس ، فتحدثت أولاً عن الوظائف العسكرية كنائب السلطنة ونائب القلعة ووالي المدينة والحاجب والدوادار . وكانت نيابة بيت المقدس تشتمل على ثلاث ولايات هي : ولاية الخليل وولاية نابلس وولاية الرملة ، وفي أحيان كانت نيابة بيت المقدس تشتمل أيضاً على الصلت ومنطقة الاغوار . وكتشريف خاص فقد كانت النائب يجمع بين النيابة ونظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل ، ثم تحدثت عن الوظائف الدينية والديوانية في النيابة . ولم أغفل جيش النيابة ، فجعلت الحديث عنه في فقرة خاصة ، فأوضحت أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيش النيابة بالاضافة الى ذوده عن المدينة المقدسة ضد الاخطار التتارية والفرنجية ، فقد اشترك في قمع الفتن في بلاد الشام ، واشترك مع الجيش المملوكي في حرب العثمانيين وذلك في أواخر دولة المماليك الثانية .

وخصصت الفصل الثالث للحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس ، فتحدثت عن نظام الاقطاع في النيابة بخاصة وفلسطين بعامة . ثم تحدثت عن المحاصيل الزراعية في النيابة ، وعن الفلاحين ومعاناتهم الاجتماعية والأساليب الزراعية المتبعة آنذاك . وكان للتجارة الداخلية والخارجية نصيب كبير حيث تطرقنا لأسواق بيت المقدس والرملة والخليل ونابلس ، والسلع التي تباع فيها . وكان للسياحة أهمية وتأثير في التجارة الداخلية ، حيث يفد الزائرون من مسلمين ونصارى ويهود الى القدس للزيارة ، فتقام لهم الاسواق الخاصة في يافا والرملة والقدس وبيت لحم ، وتعود بالنفع على تجار تلك المدن والمناطق المجاورة . واهتم المماليك بهؤلاء السياح الاجانب وخصصوا لهم تراجمة (أدلاء سياحيون) يساعدونهم ويرشدونهم في زيارة الاماكن المقدسة . وقد وفرت الدولة لهم كل وسائل الراحة ، وتمتعوا بالحرية التامة والخدمات الصحية العالية ، وعرفت المدينة المقدسة ما نسميه الآن (بالتأمين الصحي) لهؤلاء السياح والزائرين . وكانت حركة التبادل التجاري مع الدول الاوروبية قائمة ، فأصبح الساحل الشامي والفلسطيني في العصر المملوكي باب الشرق على الغرب . وكانت لفلسطين علاقاتها التجارية مع الدويلات الايطالية وأقيمت الوكالات في كل من يافا والرملة وعكا وبيت المقدس ، حتى أن بعض الشركات الايطالية وجد لها فروع في بيت المقدس . وتطرقنا للحديث عن الاوزان والمكاييل وكذلك عن الموارد المالية في النيابة كالمكوس والخراج والجوالي ومتحصل كنيسة القيامة والأوقاف التي أدت خدمات دينية وإنسانية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية كبيرة .

أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن النشاط السكاني والمؤسسات الاجتماعية في النيابة ، فتحدثت أولاً عن الديموغرافية وعناصر السكان ، وقمت بدراسة سكان المدينة المقدسة وتحديد عدد سكانها ، وأشرت الى حدوث تخلخل في عدد السكان نتيجة للظروف السياسية والحربية والطبيعية التي مرت بالمدينة المقدسة . أما عن عناصر السكان فكانوا في معظمهم مسلمين ونصارى ، أما اليهود فكانوا قلة ، ففي فترة الاحتلال الصليبي للقدس لم يكن فيها يهودي واحد ، ولكنهم بلغوا في أواخر العصر المملوكي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خمسمائة يهودي . ثم تحدثت عن طبوغرافية المدينة فذكرت حاراتها وشوارعها ودورها ونظام بناء تلك الدور ، أما مؤسساتها الاجتماعية فقد قمت بدراسة البيمارستانات في القدس والخليل والرملة ، وتطرقت في الحديث الى الحمامات ونظامها ووظائفها .

وأفردت الفصل الخامس والأخير للحديث عن الحياة العلمية في النيابة ، فكان الحديث أولاً عن إزدهار الحركة العلمية في القدس ، وكيف أصبحت مركز إشعاع علمي وحضاري في العصر المملوكي . وتعرضت الى المدارس ونشوء المدرسة في الاسلام وباعتقادنا أن المدينة المقدسة كانت من أوائل المدن التي شهدت المدرسة في الاسلام . ثم تحدثت عن مدارس القدس بادئاً بتلك الموجودة داخل الحرم ثم بتلك الموجودة خارجه وما زالت ، مهتدياً بفهرس المهندس بورغوين من المدرسة البريطانية للآثار في القدس .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه كلمات الشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة اثناء اعدادي هذا البحث ، وأخص بالذكر صديقي محمد محمود طه وزوجته ، الذي استضافني في رام الله وكان وزوجه مثالاً كريماً نبيلاً . وأقدم الشكر كذلك لكل العاملين في دائرة الأوقاف بالقدس والمتحف الإسلامي الذين سهلوا مهمتي عندما سافرت الى القدس صيف عام ١٩٨٠م ، وخصوصاً الاستاذ مروان أبو خلف الذي مكنني من الإطلاع على وثائق المتحف الإسلامي ، والسيد عبدالله كلبونه من قسم الآثار الإسلامية في الحرم والرسام والخطاط عبدالله العزة والرسام مرشد الجمل . ولن أنسى ما قدمه السيد رمزي أبو غربية (أبو جلال) من مساعدة ومصاحبته إياي في زيارة الأماكن الأثرية في المدينة ، فله شكرى الخاص لما عاناه من تعب ومشقة في تنقله معي في طقس شديد الحر . وأقدم الشكر لزوجتي التي رافقتني في رحلتي للقدس ، وكانت عوناً لي في مرحلة الاعداد والكتابة . وأخيراً أقدم الشكر للدكتور جون ولكنسون (John Wilkinson) مدير المدرسة البريطانية لعلم الآثار الذي سمح لي الاطلاع على مخطط المدرسة الجاولية (دار النيابة) وزودني بنسخة منه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

النيابة وتأسيسها

١ ـــ تأسيس نيابة بيت المقدس .
٢ ـــ دار النيابة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١)
تأسيس نيابة بيت المقدس

تمكنت دولة المماليك الناشئة في مصر من بسط سيطرتها على بلاد الشام بعد إنهيار المقاومة الايوبية . وتصديهم للتتار وتدمير قواتهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) . فورث المماليك والحالة هذه إملاك أسيادهم الايوبيين ، وتشكلت في بلاد الشام ست نيابات قامت على إنقاض الممالك والامارات الايوبية التي كانت قائمة فيها . ولم تتكون هذه النيابات دفعة واحدة بل جاءت على فترات تبعا للظروف التي كانت توجب إقامتها ، وهذه النيابات هي : نيابة دمشق ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماة ، ونيابة الكرك ، ونيابة صفد[١] .

ولكن الناصر محمد بن قلاوون أقام نيابة جديدة في غزة[٢] ، وعين عليها الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي (ت ٧٤٥ هـ) نائباً[٣] ، وأضاف إليه ولاية القدس والخليل ونابلس وقاقون ولد والرملة ونظر الحرمين الشريفين[٤] . وعهد إليه مهمة توصيل الماء من الخليل الى القدس والقيام ببعض المنشآت في القدس ، ثم ندبه في سنة ٧١٣ هـ

---

(١) القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط مصورة عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، ج ٤ ص ٩١ . ١٨٠ . الخالدي . كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الانشا ، مخطوط مكتبة جامعة القاهرة . لوحة ٧ .

Cohen & Lewis,
Population and Revenue in the towns of Palestine in the Sixteenth Century. Princeton. 1978. p. 9.

(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة . ج ٩ ص ٣٦ . ويقول أبو المحاسن (حتى أن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة . وكانت قبل كآحاد البلاد الشامية . وجعل لها نائباً وسمي بملك الامراء . ولم تكن قبل ذلك الا ضيعة من ضياع الرملة) (ج ٩ ص ١٩٣) .

(٣) ابن حبيب . درة الاسلاك في دولة الاتراك . ج ١ لوحة ٩٨ (مخطوط) . أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .

(٤) أبو المحاسن . المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) ، الحنبلي . الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . ط مكتبة المحتسب . عمان . ١٩٧٣ ج ٢ ص ٢٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٣١٣ م) لعمل الروك في الشام[٢] . وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد ندبه قبل ذلك لتعمير مدينة الكرك ، فبنى فيها سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) جامعاً ومدرسة وبيمارستانا وحماماً وداراً للنيابة[٣] . وكان القدس قبل أن يتولاه علم الدين سنجر الجاولي نيابة صغيرة تابعة لدمشق ، وممن تولوا نيابته الامير كراي المنصوري في عهد السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وقد قدم هذا الامير المساعدة للناصر محمد بن قلاوون أثناء ثورته بالكرك وسار الى دمشق بقواته مناصراً السلطان[٤] . ونتيجة لذلك كافأة الناصر محمد فعينه نائباً للشام سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) ثم عزله وسجنه وبقي في السجن الى أن توفي بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م)[٥] .

وهكذا فان نيابة القدس كانت تابعة لنائب دمشق الا أن الناصر محمد بن قلاوون ربطها بنيابة غزة ، وأصبح نائب غزة هو نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين . إلا أن الناصر محمد بن قلاوون ربط جميع نواب الشام بنيابة دمشق في سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) ، وجعل مكاتبة النواب إليه تتم عن طريق نائب دمشق الامير تنكز بن عبدالله[٦] ، وقد رفض بعض الامراء هذا الاجراء ومن بينهم نائب غزة الامير علم الدين سنجر الجاولي (لأنه كان يظن أنه يتقدمه وسابقته لا يتقدم عليه تنكز)[٧] ، عندئذ انتزعت منه نيابة القدس ، وعندما حاول الهرب الى اليمن إعتقله السلطان الناصر محمد سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وسجنه في الاسكندرية ، وبقي في السجن حتى أطلق سراحه سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) حيث عفا عنه وامّره وجعله في أمر المشورة[٨] . ومما يؤكد إن

---

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .
الروك : كلمة قبطية تعني قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها أي تقدير درجة خصوبتها لتقدير الخراج عليها .
(النجوم الزاهرة ج ٩ حاشية (ص ٤٢) .
(٣) أبي حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ص ٢٦٦ .
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٨ ، ٢٦٨ .
(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٣ ، ٣٤٥ .
(٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٨ .
(٧) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٨) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٧ .
وأنظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نيابة القدس انتزعت من الجاولي وضمت الى دمشق أن الناصر محمد بن قلاوون زار القدس سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) وطلب من الامير تنكز نائب دمشق أن يلقاه بالإقامات وليكون في استقباله هناك[١] . وكانت التولية في معظم وظائق نيابة بيت المقدس تتم من قبل نائب دمشق[٢] . وبقيت على هذا الحال حتى أصبحت نيابة مستقلة كغيرها من نيابات بلاد الشام . وقد تضاربت الآراء حول تحديد التاريخ الذي أصبحت فيه نيابة مستقلة ، ثم ماهي الأسباب التي دعت السلاطين المماليك جعلها كذلك ؟

فالنصوص التي لدينا متضاربة فأبو المحاسن ذكر أن الأمير كراي المنصوري كان نائباً للقدس سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) ، وابن حبيب وأبو المحاسن ومجير الدين الحنبلي ذكروا أن الناصر محمد بن قلاوون ولي الامير علم الدين سنجر الجاولي نيابة غزة (ونظر الحرمين الشريفين والنيابة بالقدس الشريف وبلد الخليل عليه السلام) بحدود سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)[٣] . وذكر مجير الدين أيضاً أن الأمير تمراز المؤيدي كان يتولى هذا المنصب في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م)[٤] . وفي سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) تولاه الأمير بدر الدين حسن بن عماد الدين العسكري ، أما الامير ناصر الدين محمد بن بهادر فكان متولياً لنيابة بيت المقدس في سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) . وذكر أيضاً أن الأمير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن تولى النيابة في سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) ، ثم شغل هذا المنصب في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) الامير بلوى الظاهري ، وفي السنة التالية ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) تولاه ثلاثة أمراء هم : الأمير جانتمر الركني الظاهري ، وفي جمادي الأولى منها تولاه الامير قردم الحسيني بأمر من السلطان برقوق[٥] ثم تولاه الأمير شهاب الدين أحمد اليغموري[٦] .

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٥٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٣) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ١ لوحة ٩٨ . أبو المحاسن ، المنهل الصافي ، ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) ، مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٢ . وأنظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٣٨٨ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ق ٣ ص ٨١٢ .

(٦) الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الخالدي فذكر في كتابه المقصد الرفيع المنشأ أن نيابة دمشق فيها ست نيابات هي : نيابة القدس ، ونيابة صرخد ، ونيابة بعلبك ، ونيابة حمص ، ونيابة عجلون ، ونيابة مصياف . ولكن نيابة القدس أصبحت طبلخاناه في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ هـ) ، وفيما بعد صار متوليها من الأبواب الشريفة في القاهرة ، ويضاف إليه الرملة ونابلس[١] .

ويذكر القلقشندي في صبح الاعشى أن النيابة في بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ونيابتها أمرة طبلخاناه ، وجرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس والخليل[٢] .

ولكن المقريزي يذكر في أحداث سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، ان السلطان برقوق أنعم في جمادي الأولى من هذه السنة على (قردم الحسيني بنيابة القدس)[٣] بينما كان في غزة في طريقه لمحاربة التتار بقيادة تيمورلنك الذي أخذ يضغط على الحدود الشرقية للدولة المملوكية[٤] .

ومن المعروف أن المماليك ورثوا عن أسيادهم الايوبيين مهمة الجهاد ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام ، وخاض سلاطينهم معارك طاحنة ضدهم ، حتى تمكن السلطان الأشرف خليل من فتح عكا آخر المعاقل الصليبية في فلسطين[٥] ، وبذلك تم تطهير بلاد الشام من الفرنج نهائياً سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١) م . ولكن الصليبيين لم ييأسوا ، بل أخذوا يقومون بأعمال عدوانية ضد المماليك منطلقين من قبرص حينا ، ومن الدويلات الاوروبية أحياناً أخرى . ثم زادت اتصالاتهم بالتتار ، وصاروا يعملون على

---

(١) الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ص ١٩٩ .

أمير طبلخاناه : هو الامير الذي يكون بخدمته أربعون مملوكاً ، وتدق بابه بعد صلاة المغرب كل يوم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وتوقد المشاعل . والطبلخاناه تعني الفرقة الموسيقية السلطانية وهي مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في الدولة المملوكية . (ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣) .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .

(٤) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٨١٣ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧٦٤ وما بعدها .

Atiya, The Crusade in the Later Middle Ages, New York, 1970, p. 30.

يوسف غوانمه : تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى ، القسم الساسي ، ص ١٣٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقامة خلف معهم كي تبقى حدود دولة المماليك الشرقية في خطر مستمر[١] ، ولتمكين الصليبيين استعادة الاراضي التي فقدوها في بلاد الشام وعلى رأسها بيت المقدس ، وفعلاً أقيم تحالف بين التتار والغرب الاوروبي ومملكة أرمينية الصغرى والقوى الصليبية في بلاد الشام لهذه الغاية[٢] .

اذن فكرة السيطرة على بيت المقدس ظل أملاً يراود الفرنج طيلة العصر المملوكي فبعد سقوط عكا قاموا بحصار إقتصادي ضد المماليك ، كما شنوا الغارات المتكررة على سواحل مصر والشام لتحقيق هذه الغاية[٣] . وأعنف هذه الغزوات ، تلك التي شنها بطرس لوزجنان سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) على مدينة الاسكندرية ، فاجتاحت قواته المدينة ثلاثة أيام ، وقتلت ودمرت وأسرت الكثير من أهالي المدينة ، وبعد أن تم لهم ما أرادوا غادروا الاسكندرية الى بلادهم[٤] . وفي سنة ٧٦٩هـ (١٣٦٧م) قام الفرنج بحملة ضد طرابلس الشام ، فدخلوا المدينة ونهبوا بعض الأسواق وحملوا معهم بعض الأسرى وقتلوا آخرين من سكان المدينة[٥] . وهكذا دخلت الدولة المملوكية حرباً بحرية مع الفرنج ، ناهيك عن الحصار الاقتصادي الذي أيده البابا وباركه .

ونتيجة لغزوة بطرس لوزجنان على الاسكندرية ، استلزم الامر ان يتولى الاسكندرية أمير كبير ، كي يتمكن من الوقوف في وجه الاخطار الصليبية فولى السلطان الاشرف شعبان الامير بكتمر الشريقي نيابة الاسكندرية (وهو أول نائب ولي نيابة الاسكندرية من النواب)[٦] .

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، سلسلة إعلام العرب ، ص ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٥ .

(٢) سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٩٦ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٥٢ . Atiya, op. cit., pp. 36-38.

(٤) النويري الاسكندراني : كتاب الالمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، الهند ، ١٩٧٠م ، ج ٢ ص ١١٣ .
المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٠٦ . Atiya, op cit., pp. 354-366.

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٤٩ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٥٢ .

(٦) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٣٠ . ويقول المقريزي (وهو اول من باشرها نيابة سلطنة) . (السلوك ج ٣ ق ١ ص ١١٥) . وانظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد اظهر المماليك تفهما كبيراً للخطرين الصليبي والتتاري ، واستعدوا لذلك ، فالظاهر بيبرس اقام خطا دفاعيا قويا على الحدود الشرقية لدولته وشحنة بالرجال والعتاد واحكمه بشبكة اتصال قوية تربطه بالقاهرة ، كما اقام خطا دفاعيا آخر يمتد من الشوبك والكرك جنوباً الى اعالي العاصي شمالا ، كي يقف في وجه الخطرين التتاري والصليبي معا[1] . فالصليبيون هددوا السواحل المصرية والشامية ، واجتاحوا مدنه وعطلوا حركة التجارة والاتصالات البحرية المملوكية . أما التتار فكانوا يعبرون الفرات في طريقهم الى بلاد الشام والديار المصرية ، ولكن سرعان ما تتصدى لهم القوات المملوكية فيعودوا القهقري الى بلادهم ، وان كانوا قد وصلوا الى غزة واجتاحوا دمشق بقيادة محمود غازان سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م)[2] . ثم اجتاحوها مرة اخرى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) بقيادة تيمورلنك ، وسفكوا دماء الكثير من سكانها وسكان المدن الفلسطينية الاخرى ، ولكنهم لم يدخلوا بيت المقدس فسلم من عبثهم وتدميرهم .

ان الهدف الحقيقي من وراء الهجمات الصليبية وتحالفهم وتعاونهم من التتار اعادة سيطرتهم على فلسطين وبيت المقدس بالذات ، فغزوة القبارصة على الاسكندرية سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) كان غرضها الوصول الى بيت المقدس عن طريق القاهرة [3] . وبعد فشلهم حول الفرنج نشاطهم نحو بلاد الشام ، فها جموا طرابلس ونهبوها ، ثم هددوا بيت المقدس نفسه ، حيث اجتاحت قواتهم يافا فرضة القدس على البحر المتوسط في سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م)[4] ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تسللت قوات

---

(١) سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٩٤ .
أحمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ، ص ٢٠٨ .
يوسف غوانمه : تاريخ شرقي الاردن (القسم السياسي) ، ص ٥٧ .

(٢) يقول المقريزي (امتدت التتر الى القدس والكرك تنهب وتأسر) . السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٠ ، ويقول ايضا : (نهبت التتار الاغوار حتى بلغوا الى القدس وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا الى دمشق وقد اسروا خلقا كثيرا) . السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٦ . وانظر : أبو المحاسن ، والنجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ١٢٢ .

(٣) Atiya, op. cit., p. 357. ويذكر النويري الاسكندراني ان الذين اشتركوا مع القبارصة في غزوة الاسكندرية : البنادقة ١٤ غرابا ، الجنوية ٧ غرابين ، الروادسة ١٠ غربان ، الفرنسيسيين ٥ غربان .
(الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ٢٣٠) .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرنجية الى القدس نفسه عن طريق الحج[1] ، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق حلمهم القديم .

ولما أدرك السلطان الاشرف شعبان عظم الخطر الذي يهدد بيت المقدس من الصليبيين ، عمد الى رفع مرتبة نائبها فجعله برتبة طبلخاناه[2] ، ولكن النيابة بقيت مرتبطة بنائب دمشق . وقد زود السلطان نائب بيت المقدس بالقوات والعتاد كي يتمكن من صد الاخطار التي تهدد البلد المقدس . الا ان المقريزي ذكر في سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، أن السلطان الظاهر برقوق أنعم على الامير قردم الحسيني بنيابة القدس ، وذلك في غزة اثناء توجهه لمحاربة التتار بزعامة تيمورلنك .

وهذا النص الذي اورده المقريزي ، هو اول اشارة صريحة عن تولية نائب لنيابة بيت المقدس من قبل السلطان في القاهرة ، وسببه الخطر التتاري الذي أخذ يهدد دولة المماليك وبلاد الشام ويضغط عليها بشدة . ان خوف الظاهر برقوق على المدينة المقدسة ، دفعه الى استحداث نيابة مستقلة فيها ، كي تستطيع الوقوف في وجه الاخطار الداهمة ، تماما كما فعل السلطان الاشرف شعبان بعد غزوة بطرس لوزجنان للاسكندرية ، فاستحدث نيابة الاسكندرية وجعل فيها اميرا كبيرا وزوده بالرجال والعتاد ، للوقوف في وجه الخطر الفرنجي الذي ما فتىء يهدد السواحل الشامية والمصرية معا .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ، ان مجير الدين الحنبلي ذكر ان تولية النيابة والنظر في بيت المقدس كان يتم من قبل نواب الشام ، ولم يزل الامر كذلك الى نحو ٨٠٠ هـ ، (١٣٩٧ م) ، فأصبح تولية النائب من قبل السلطان في القاهرة[3] . والملاحظ هنا ان التاريخين لدى المقريزي والحنبلي متقاربان ، مما يدعم وجهة النظر التي ذهبنا اليها .

---

(١) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) وقد أيد ذلك المؤرخان الخالدي ، والقلقشندي معا ، اما التاريخ الذي ذكره القلقشندي من ان نيابة بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ، فاننا لا نميل الى الاخذ به ، فمن دراستنا للاحوال السياسية والعسكرية في هذه السنة ، لم نجد فيها من الامور الهامة التي دفعت السلطان لاستحداث نيابة في بيت المقدس ، فلا يوجد ما يبرر هذا العمل .

(القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ،

الخالدي : المقصد الرفيع ، لوحة ١٤٧ مخطوط) .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزيادة في التأكيد فقد عمد السلطان الظاهر برقوق الى ترميم دار الوكالة في مدينة بيت المقدس سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) وعهد ذلك للامير سيف الدين بيدمر الخوارزمي نائب دمشق ، واثبت ذلك في نقش ذكر فيه ان هذا الترميم تم (بنيابة مولانا ملك الامراء بيدمر كافل الممالك بالشام)[١] . ولم يذكر انه تم بنيابة نائب بيت المقدس ، بدليل ان نيابة القدس آنذاك كانت لا تزال تحت اشراف نائب دمشق . اضف الى ذلك ان المقريزي وأبا المحاسن يشيران بعد هذا التاريخ الى تولية نواب في نيابة بيت المقدس كغيرها من نيابات بلاد الشام[٢] . ففي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ذكر المقريزي النيابات في بلاد الشام على النحو التالي : نيابة الشام ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماه ، ونيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس ، ونيابة الكرك[٣] ، أما أبو المحاسن فزاد عليها نيابة ملطية[٤] . ومن هنا نجد انه اصبح في فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة بيت المقدس ونيابة غزة ، وهذا يناقض ما ذهب اليه لويس وغيره من الباحثين من ان فلسطين في العصر المملوكي كانت تشتمل على نيابتين فقط هما نيابة غزة ونيابة صفد[٥] . ويحاول المستشرقون اثبات ان القدس لم يلق الاهتمام الكافي في العصر

---

(١) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem Ville), Le Caire, 1922, p. 300. وبيدمر هذا عزله السلطان برقوق في نفس السنة وعين عوضه في نيابة دمشق الامير استقتمر الماردیني الذي كان يقيم في القدس بطالا .
(السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٦٨٧) .

(٢) وعلى سبيل المثال انظر : المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٨ . ج ٤ ق ١ ص : ٨١ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٣٨ ، ١٨٨ ، ٢٦٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥١ ، ٤٨٣ . ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، ج ٤ ق ٣ ص ١١٦١ . وانظر ايضا : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٢٣١ ، ج ١٣ ص ٧٥ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ . ج ١٤ ص ١٠ ، ٢٦٢ ، ج ١٥ ص ٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٤٤٨ ، ٥٣٢ ، ج ١٦ ص ١٢٧ ، ١٣٠ . وانظر كذلك : ابن الصيرفي : نزهة النفوس والابدان ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٣٤٨ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١٢٠٠ .

(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٢٢٦ .
ملطية أو ملاطية : بلدة كبيرة حصينة ، تقع على سفوح جبال اللكام ، وهي احدى الحصون المنيعة منذ العصر العباسي ، تكثر حولها التلال المكسوة بالاشجار والسهول الخصبة .
(لي سترانج : فلسطين في العهد الاسلامي ، ص ٤٨٠) .

(٥) Cohen & Lewis, op. cit., p. 9.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسلامي كبقية المدن الاخرى ، بدليل ان القدس لم يكن عاصمة لدولة ، أو مركزاً لحكم . ولكننا في هذه الدراسة نثبت عكس ذلك ، فمدينة القدس كانت تتمتع بمكانة روحية لدى المسلمين ،' وكان الاهتمام بها كبيرا على مدى العصور ، فبنوا فيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة اثرا خالدا ما زال حتى الوقت الحاضر. اما في العصر الايوبي والمملوكي فقد لقيت المدينة المقدسة العناية والرعاية ، فمهرها المماليك بمنشآتهم العديدة ثم جعلوا منها نيابة مستقلة وعينوا فيها الامراء الكبار واصبحت مركز حكم كغيرها من المدن الهامة في بلاد الشام ، بل فاقتها في الاهمية لمكانتها الروحية والدينية لدى الجميع ، وتمكنت القدس بنائبها وقواتها ان تقف بقوة وحزم في وجه الاخطار والاطماع الصليبية والتتارية معا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)
دار النيابة

جعل السلطان الظاهر برقوق من بيت المقدس نيابة مستقلة ، وكان القدس قبل ذلك ولاية أو نيابة صغيرة تابعة لنائب دمشق ، وجرت العادة ان يقيم هذا الوالي أو النائب في قلعة بيت المقدس الواقعة في الجهة الغربية من المدينة عند باب الخليل[١] . ولكن بعد استقلال نيابة بيت المقدس صار نوابها ينزلون في زاوية الدركاة قرب البيمارستان الصلاحي[٢] ، وبقي الامر هكذا مدة ثم صار النواب يسكنون في دار النيابة نفسها .

وتقع دار النيابة في الزاوية الشمالية الغربية من سور المسجد الاقصى ، وتتصل بمنارة الغوانمة[٣] ، ويتصل بها من الشرق المدرسة الصبيبية ، ولدار النيابة هذه خمسة شبابيك تطل على ساحة المسجد الاقصى[٤] . ويظهر من مخطط البناء المطل على ساحة الحرم ان الاسس الاولى لدار النيابة اقيمت فوق منطقة صخرية مرتفعة عن مستوى الحرم ، لذا فلا يوجد اروقة اسفل دار النيابة كتلك الموجودة في السور الغربي للحرم ، فطبيعة الارض الصخرية لم تساعد على اقامة تلك الاروقة . ولا تشير الدلائل الى وجود باب يوصل المبنى بساحة الحرم ، وأكد هذا ابن فضل الله العمري ، فقال اثناء تحدثه عن

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ١٤٥ .
الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ج ٥٥ ، ٢٧١ .

(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ .

(٣) الغوانمة : ينتسبون الى غانم بن علي الانصاري من رجال صلاح الدين وشيخ الخانقاه الصلاحية ، خدم ابناؤه واحفادهم المدينة المقدسة وكان منهم العلماء والفقهاء ، تقلدوا عدة مناصب في القدس منها مشيخة الخانقاة الصلاحية وخطابة المسجد الاقصى ، ونظر الحرمين في القدس والخليل . ولعائلة الغوانمة آثار باقية في المدينة المقدسة منها منارة الغوانمة ، وباب الغوانمة ، وحارة الغوانمة .

(٤) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٤م ، ج ١ ص ١٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدرسة الجاولية (ليس لها استطراق الى الحرم)[1] . وهكذا فالوصول الى دار النيابة من داخل الحرم يكون بالخروج من باب الغوانمة ، ثم الاتجاه يمينا عبر درج وحارة الغوانمة حتى تصل الى طريق الآلام . وبعد السير شرقا في طريق الآلام تتجه يمينا في طريق جانبي ترقي اليه صعودا بامتار قليلة فينتهي الى بوابة كبيرة . ومن خلالها يمكن الولوج الى ساحة كبيرة تحيط بها ابنية عديدة ، ومن مجموعة هذه الابنية تتكون دار النيابة ، وتقع في الجزء الغربي من الساحة الحالية ، ويمكن الدخول الى هذه الدار بواسطة درج خاص يقع في الجهة الشمالية منها ، ثم الى الباب والدركاه ثم الصحن . وفي صدر هذا الصحن من جهة القبلة يوجد ايوان كبير له خمسة شبابيك تطل على ساحة المسجد الاقصى وهي التي اشار اليها ابن فضل الله العمري[2] . وهذا الايوان (القاعة الكبيرة) مسقف بالعقود المتقاطعة ، واستخدم في بنائه الحجر المنحوت المصقول ، والايوان هذا كان يجلس النائب في صدره للنظر في امور الناس وحل مشاكلهم . ووجد ايوان للحكم في معظم النيابات المملوكية في مصر والشام وهو ما يطلق عليه (دار العدل) ، يجلس النائب فيه ومعه القضاه لفض المنازعات والنظر في المظالم المرفوعة اليه والتي لم يقبل اصحابها بحكم القضاة فرفعوها الى النائب من باب الاستئناف[3] . وجرت العادة ان يجلس النائب بدار العدل هذه مرتين في الاسبوع للنظر في القضايا الكبيرة ، ويستقبل النائب فيه ايضا السلاطين والزائرين القادمين لزيارة بيت المقدس . الا ان بعض السلاطين كانوا يفضلون الاقامة في المدرسة التنكزية بباب السلسلة ففي سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) قدم السلطان سيف الدين شيخ المحمودي لزيارة بيت المقدس فأقام في هذه المدرسة ، أما الامراء والمباشرون الذين كانوا صحبته فقد توزعوا في مدارس وخوانق المدينة المقدسة[4] . وجدد

---

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٤م ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٢٧٦ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ١٧٣ .
للباحث ، عمان حضارتها وتاريخها ، ١٩٧٩ ص ١٩٦ .

(٤) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ج ٢ ص ٣٩٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بناء هذا الايوان الكبير (دار العدل) الامير شاهين الشجاعي نائب بيت المقدس ، واثبت ذلك بنقش نسخي جميل على عتبة مدخل الايوان هذا نصه :

شاهين رسم بتجديدها المقر الشجاعي

وقد تولى شاهين الشجاعي نيابة بيت المقدس في عهد السلطان الاشرف برسباي بعد سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م)[١] .

وحدثت اضافات اخرى الى دار النيابة ، ففي سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) ، بني الامير خضر بك نائب بيت المقدس مقعدا خاصا ملاصقا لايوان الحكم من جهة الشمال ، وسقفه بالخشب المدهون ، وجعله على طريقة مجالس الحكام في الديار المصرية ، فصار النائب واعوانه يجلسون فيه ، وكانوا قبل ذلك يجلسون في صدر الايوان[٢] . ونصت الوثائق على وجود (مجلس الحكم) في بيت المقدس ، فالوثيقة رقم ١٣٨ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس اشارت الى ذلك المجلس[٣] .

ودار النيابة هذه كانت في الاصل تدعى (المدرسة الجاولية) ، بناها الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي[٤] ، في حدود سنة ٧١٣ هـ (١٣١٢ م) في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . ففي هذه السنة كان سنجر الجاولي نائبا في غزة[٥] ، وبالاضافة الى نيابة غزة عهد اليه السلطان ولاية القدس وبلد الخليل ونابلس وقاقون ولد

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) وثائق للمتحف الاسلامي بالقدس وثيقة رقم ١٣٨ .

(٤) هو أبو سعيد سنجر بن عبدالله الجاولي ، ولد بآمد سنة ٦٥٣ هـ ، وقد اشتراه احد الامراء المماليك يقال له جاول فنسب اليه . تدرج في سلك الدولة المملوكية حتى اصبح استادارا ، وتقلد عدة مناصب منها نيابة الشوبك وحماة وغزة ، ثم شد الدواوين . استنابه الناصر محمد في سنة ٧١١ هـ لبناء عدة منشآت في الكرك فبنى فيها قصرا للنيابة والجامع والحمام والمدرسة الشافعية والبيمارستان وخانا للسبيل ، ثم عهد اليه في سنة ٧١٣ هـ بروك البلاد الشامية . له عدة منشآت في مصر والشام منها الجامع بالخليل ومدرسة بالقاهرة واخرى في غزة وخانا في بيسان . ويذكر السبكي انه كان رجلا فاضلا صنف شرح مسند الشافعي ، وسمع على دانيال بالكرك ، توفي سنة ٧٤٥ هـ . (السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٦ ص ١٠٦ ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٦٨) .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٣٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرملة[1] . ثم انتدبه السلطان في نفس السنة لإيصال الماء من عين مدينة الخليل الى القدس (ولم يزل مجدا في العمارة مصرا على اعتماد الاشارة الى ان فار الماء بالبيت المقدس بعد فراره)[2] ، ومن المرجع انه قام ببناء مدرسته في السنة نفسها . ثم تحولت المدرسة فيما بعد الى دار للنيابة وسكني للنواب ، وقد اشار بعض الباحثين الى ان المدرسة الجاولية تحولت الى دار للنيابة سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) على يد نائبها شاهين الشجاعي[3] . ولكننا نرى خلاف ذلك ، فشاهين الشجاعي كان نائبا للقدس بعد سنة ٨٣١ هـ ، وهو الذي جدد ايوان الحكم وكتب ذلك في لوحة تأسيسية مثبتة على مدخل الايوان الكبير (دار العدل) . ولكنه لم يحول المدرسة الى دار للنيابة ، فباعتقادنا ان المدرسة تحولت الى دار للنيابة بعد سنة ٧٩٦ هـ ، اما عن اتخاذها سكني للنواب فكان ذلك في اواخر القرن التاسع الهجري في حياة مجير الدين الحنبلي حيث يقول : (وهي التي صارت في عصرنا مسكنا للنواب بالقدس الشريف)[4] .

ولا يوجد لدينا ما يثبت اتصال دار النيابة بساحة المسجد الاقصى مباشرة ، فمدخلها يقع خارج الحرم من جهة حارة الغوانمة وطريق الآلام ، ولكنا نميل الى القول بأن دار النيابة هذه كانت متصلة اتصالا مباشرا بساحة الحرم بواسطة طريق خاصة ، خصوصا وانها اصبحت سكني للنائب فالامر يستلزم دخوله للحرم مباشرة في اوقات الصلاة ولا شك ان ذلك كان يتم بواسطة باب خاص ، وهذا الباب ربما كان من جهة المدرسة الصبيبية المحاذية لدار النيابة شرقا أو انه يقع من جهة منارة الغوانمة غربا[5] .

---

(١) ابو المحاسن ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج ٢ لوحة ٩٢ (مخطوط) .
قاقون : حصن يقع في فلسطين قرب الرملة ، ويتبع لقيسارية . (لي سترانج ، ص ٤٣٨) .

(٢) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ج ١ لوحة ٩٨ (مخطوط) .

(٣) كامل العسلي ، معاهد بيت المقدس ، عمان ، ١٩٨١ م ، ص ٢٢٣ .
وقع لديه لبس بين شاهين الشجاعي وشاهين الذباح الذي كان نائبا في القدس سنة ٨٢٨ هـ (الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤) .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٤) وتشغل المدرسة العمرية مجموعة من المباني من ضمنها دار النيابة (المدرسة الجاولية) ، وقد قمت في صيف عام ١٩٨٠ م بزيارة هذه المدرسة واطلعت على اقسامها وابنيتها الحديثة والقديمة ، فمعظم الجزء القديم يحتاج الى الترميم والصيانة وخصوصا تلك الاجزاء الجنوبية والغربية المتصلة بمنارة الغوانمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتشغل المدرسة العمرية الحالية مجموعة من الابنية من ضمنها دار النيابة موضوع البحث ، وهناك تساؤل هل الباب الحالي للمدرسة العمرية هو الباب الاصلي لمجموعة الابنية هذه ، ام ان هناك بابا آخر غيره ؟. فقد لاحظت في الجدار الشمالي للمدرسة الواقع في درب الآلام وعلى بعد عدة امتار من المدخل الحالي باتجاه الشرق ، آثار بوابة كبيرة مغلقة ، أبطل استخدامها في عهود لاحقة فاغلقت البوابة بالحجارة . ويمكن ملاحظة ان الحجارة المستخدمة في اغلاق فراغ الباب تختلق عن تلك المستخدمة في بناء الجدار الشمالي ، ثم انها بنيت بطريقة اقل دقة ، ومن حجارة الدبش ، بينما بقية الجدار مبني بالحجارة المدقوقة المشهرة يحيط بها افريز مستطيل الشكل منحوت بطريقة فنية جميلة[1] . فعلى سبيل الافتراض اذا كانت دار النيابة تشتمل ايضا بعض ابنية العمرية الحالية ، فالمدخل يجب ان يكون كبيرا واسعا مهيبا يتناسب ودار النيابة ، لذا فاننا نميل الى الاعتقاد بأن مدخل النيابة كان في الاصل من الجهة الشمالية ولكنه اغلق وبطل استعماله فيما بعد ، وبقي المدخل الحالي لتلك الابنية . وهذا يجرنا الى القول بأن دار النيابة اشتملت على ابنية اخرى زيارة على المدرسة الجاولية وربما كل ابنية العمرية الحالية .

(١) انظر الصورة الفوتوغرافية لهذا الباب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

الوظائف في نيابة بيت المقدس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوظائف في نيابة بيت المقدس

أولاً : الوظائف العسكرية (أرباب السيوف) :

١ ـــ نائب السلطنة .

٢ ـــ نائب القلعة .

٣ ـــ والي المدينة .

٤ ـــ الحاجب .

٥ ـــ الدوادار .

ثانياً : الوظائف الدينية :

١ ـــ ناظر الحرمين الشريفين .

٢ ـــ مشيخة الصلاحية .

٣ ـــ القضاه .

٤ ـــ الخطابة .

٥ ـــ التداريس .

٦ ـــ المحتسب .

٧ ـــ ناظر البيمارستان .

ثالثاً : الوظائف الديوانية :

١ ـــ كاتب الدست .

٢ ـــ ناظر بيت المال .

٣ ـــ ناظر الجيش .

رابعاً : جيش نيابة بيت المقدس .

خامساً : القلعة .

سادساً : ولاية نابلس والرملة والخليل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوظائف في نيابة بيت المقدس
أولاً : الوظائف العسكرية (أرباب السيوف)

١ ـــ نائب السلطنة :

أصبح بيت المقدس نيابة مستقلة سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، على رأسها أمير كبير ولايته بمرسوم شريف من القاهرة . وكان نائب السلطنة يقيم في (دار النيابة)[١] ، الواقعة بجانب الرواق العلوي من المسجد الأقصى بجوار منارة الغوانمه[٢] . وكان النائب يجلس في صدر الايوان الخاص المسمى (ايوان الحكم) ، ليحكم بين الناس وللنظر في شؤون النيابة . ولكن نائب بيت المقدس خضر بك بنى مقعداً ملاصقاً لإيوان الحكم من جهة الشمال ، وصار يجلس فيه على عادة (مجالس الحكم) في الديار المصرية[٣] . ودار النيابة هذه أقيمت مكان المدرسة الجاولية التي بناها الامير علم الدين سنجر الجاولي سنة ٧١٣ هـ ، وخصصها للمذهب الشافعي ، وتحولت الى دار للنيابة بعد سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ثم سكن للنواب وكان نواب بيت المقدس قبل هذا التاريخ يقيمون في زاوية الدركاة بجوار البيمارستان الصلاحي وهي من أوقاف الأمير شهاب الدين غازي بن العادل الايوبي صاحب ميافارقين[٤] .

وكان لنائب بيت المقدس أقطاع خاص ، يشتمل على عدة قرى ، وذكرت المصادر أن من بين هذا الاقطاع مدينة اريحا في غور الاردن[٥] . وفي أحيان كان يجمع اليه نظر

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٢) المنهاجي السيوطي : أتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، مخطوط جامعة برنستون ، لوحة ٧٤٥ . الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) الحنبلي ، نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤٧ ، ميافارقين : مدينة من الجزيرة وهي قاعدة ديار بكر كثيرة المياه والبساتين . (صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٢٠) .

(٥) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ ، ٣٢٣ . اريحا : عاصمة الغور ويعتبرها اليعقوبي من البلقاء ، وتبعد مسافة يوم عن القدس . (لي سترانج : ص ٣١٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحرمين الشريفين القدس والخليل فيطلقون عليه (ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس الشريف وبلد سيدنا الخليل) وهذا إمتياز لم يحظ به أي نائب من نواب بلاد الشام ، وبذا نال النائب قوة وتشريفاً . وفي أحيان كان النائب يجمع بين : كاشف الرملة ، وكاشف نابلس ، واستادار الأغوار ، ومتولي الصلت وعجلون ، كما حدث سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) في دولة الإشراف برسباي ، الذي جمع للامير طوغان العثماني بين هذه الوظائف[١] ، وهو أقصى اتساع بلغته نيابة بيت المقدس .

أما تولية النائب فكانت تتم بمرسوم سلطاني ، وعندما يتولى هذا المنصب أو تجدد نيابته مرة أخرى ، يدخل المدينة مرتدياً خلعة النيابة ، يحف به القضاة والمماليك وأعيان المدينة فتزين الأسواق وتدق البشائر ، ثم يدخل المسجد الأقصى حيث يقرأ المرسوم السلطاني على المجتمعين[٢] . وكانت الطبلخاناة تدق على باب بيته كل ليلة[٣] ، تماماً كما يحدث للامراء الكبار في الديار المصرية . ومن واجبات النائب النظر في أحوال نيابته ، وتفقد أحوال الرعية صغيرهم وكبيرهم ، ورفع الحيف والظلم عنهم ومراجعة السلطان في بعض الأمور التي هي من مصلحة رعيته ، والنظر في القرى والغلات وإيصال الحقوق الى مستحقيها ، وتعيين فقيه في كل قرية ليعلم أهلها أمور دينهم[٤] .

ولنيابة السلطنة في بيت المقدس ثلاث ولايات :

١ — ولاية الخليل .

٢ — ولاية نابلس .

---

(١) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج ٣ ص ٣٨٣ . الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٥ .

الكاشف : من وظائف أرباب السيوف ، ويحكم على جميع البلاد التي يتولى كشفها فيجتمع الى الامراء ويمد السماط ويحضره القضاه وتقرأ القصص بين يديه . (القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٥) .

الاستادار : من وظائف أرباب السيوف ، وتعني الأمير الذي يتولى قبض مال السلطان ، أو الأمير وصرفه ، وكان يتولى أمر البيوت السلطانية كلها ، وصاحبها أمير كبير . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٥٧) .

(٢) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٢١ ، ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـــ ولاية الرملة[١] ، وفي أحيان كان المرسوم السلطاني ينص على توليته (نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس)[٢] .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ، تولى نيابة بيت المقدس نواب اشتهروا بالظلم والقسوة ، فأساؤا الى النيابة وسكانها ، ومنهم من تولاها بمال بذله الى السلطان في القاهرة ، ففي سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) تولى النيابة ونظر الحرمين بالقدس الأمير دقماق (ببذل عشرة آلاف دينار للخزائن الشريفة ، غير ما تكلفه لأركان الدولة)[٣] .

٢ ـــ نائب القلعة :

لبيت المقدس قلعة وصفت بأنها (حصن عظيم البناء) تقع في الجهة الغربية من القدس بجانب باب الخليل ، وكانت هذه القلعة حصينة جداً واشتهر من أبراجها برج عظيم البناء سمي (برج داود)[٤] . وتعرضت هذه القلعة للهدم من قبل الملك المعظم عيسى في العصر الايوبي أثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، اذ خشي أن يحتلها الفرنج ويحتموا خلف أسوارها[٥] . ثم أن الكامل محمد سلطان مصر سلم بيت المقدس للفرنج في الحملة الصليبية السادسة سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)[٦] . وقد استغل الفرنج حالة الفرقة والنزاع بين صفوف الايوبيين فعمدوا الى تحصين بيت المقدس وجددوا بناء القلعة ، مما دعا الملك الناصر داود أمير إمارة الكرك الايوبية الى تحرير القدس منهم

---

(١) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ط القاهرة ، ١٣١٢ هـ ص ١٧٧ .
الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ ، لوحة ١٢٨ ، ١٤٧ (مخطوط) .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، وأنظر :
ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٥ .

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٢ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ص ٤٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٤٢ .
Roger of Wendover,
The Crusade of Fredrick II, From Sources of Medieval History, Edited by Edward Peters, U.S.A., 1971, p. 152.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهاجمهم بقواته سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) وأخرجهم منها وأعادها الى حظيرة الحكم الايوبي[١] .

وللقلعة نائبها الخاص يكون تعيينه بمرسوم سلطاني[٢] ، ونيابته مستقلة عن نيابة السلطنة ، ومقره في القلعة ، وكان ولاة بيت المقدس ونوابها يقيمون في القلعة قبل أن يتحول القدس الى نيابة مستقلة[٣] . ومن اختصاص النائب صيانة القلعة وحفظها وعمارة ما وهى من عمارتها ، وخزن أنواع الأسلحة والزرد خاناه ، بالإضافة الى أشرافه على الأجناد المقيمين في القلعة الذين يحرسون المدينة ويقومون بمهمة الدفاع عنها[٤] .

ويرتب النائب في القلعة طبلاً يدق ليلاً لاستعلام الوقت على عادة القلاع في البلاد الشامية والديار المصرية[٥] . ووضع تحت تصرف نائب القلعة (الحمام الزاجل) لا بلاغ السلطان بكل ما يستجد في النيابة ، فهو عين على النائب وجميع موظفي الإدارة في النيابة وأعمالها . وممن تولوا نيابة قلعة القدس : شرف الدين موسى الردّادي[٦] ، وبدر الدين حسن بن حشيم (ت ٨٧٠ هـ)[٧] .

٣ ــ والي المدينة :

وكان يطلق على من يتولى هذا المنصب في العصر الإسلامي صاحب الشرطة ، ويذكر القلقشندي أن تولية هذه الوظيفة كانت من نائب دمشق عندما كانت نيابة بيت المقدس مجرد نيابة صغيرة تابعة لدمشق . وبعد أن تحولت القدس الى نيابة مستقلة صارت تولية والي المدينة تتم من قبل نائب بيت المقدس[٨] ، وأصبحت فيما بعد من اختصاصات السلطان في القاهرة ، وقد نقل إلينا القلقشندي توقيعاً بولاية القدس من

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، ج ٣ ص ٢٣٢ .
(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٣٢٥ .
(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥٥ .
(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٦ .
(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٥ وأنظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٨٥ .
(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٥ .
(٧) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .
(٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انشاء ابن نباته[1] ، وتولى الأمير شرف الدين المرجاني هذا المنصب سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م)[2] .

ومن اختصاصات والي المدينة حفظ الامن ومطاردة اللصوص والمفسدين ، والمحافظة على ارواح الناس واموالهم ، وكان من حقه جلد المخالفين من السكاري بالعصا[3] . ولا يسمح له بالتجسس على الناس وهتك حرمات بيوتهم بحجة البحث عن المنكر ، ويساعده في مهمته عدد من رجال الشرطة والحراس والعسس .

٤ — الحاجب :

وكان في نيابة القدس امير حاجب كغيرها من النيابات الاخرى في بلاد الشام[4] ، ومن مهامه الحكم بين الناس وفض المنازعات ، كما ترفع اليه الامور المتعلقة بأرباب الجرائم وغيرها من الامور التي ترفع الى حكام الشرطة . ويقوم الحاجب ايضا بعرض الجند وتقديم من يرد الى النائب والاستئذان لهم ، وينوب عن النائب في حال غيبته[5] . وممن تولوا هذا المنصب في القدس الشريف الامير شاهين الحاجب ، وشهاب الدين احمد بن شرف الدين موسى الذي شغل منصب حجوبية القدس سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) ، ثم ابنه ناصر الدين محمد التركماني (ت ٨٥٢ هـ) وناصر الدين صرصر العلمي[6] .

٥ — الدوادار :

ذكرت المصادر عن وجود وظيفة الدوادار في بيت المقدس ، والدوادارية موضوعها تبليغ الرسل عن النائب وابلاغ عامة الامور ، وتقديم القصص اليه والمشاورة فيمن يحضر

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٣٠ . وأنظر النص في الملاحق .
(٢) ابن صرصري ، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم برنير ، كالفورنيا ، ١٩٦٣ م ، ص ١٤٦ .
(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٦١ ، ٦٢ .
وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن — القسم الحضاري ، ص ١١ .
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .
(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩ .
(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمقابلته . ومن مهامه ايضا تقذيم البريد الى النائب واخذ خطه على عامة المناشير والتواقيع والكتب الصادرة من نائب السلطنة[1] . وكان النائب يكلفه في مهمات حربية ، ففي سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) كلف الامير جان بلاط نائب القدس الامير جانم دوادار القدس في مهمة بقرية بيت لقيا فقتل هناك بايعاز من نائب غزة بسبب خلاف وقع بين النيابتين[2] . ومن الملاحظ ان وظيفة الدوادار لم تكن موجودة في نيابة الكرك ، بل وجد فيها مهمندار مهمته تلقي الرسل وامراء العربان الواردين الى النيابة ، والتحدث في القيام بأمرهم[3] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩ .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧١ .

(٣) للباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)
ثانيا : الوظائف الدينية

١ ـــ ناظر الحرمين الشريفين :

تعتبر وظيفة ناظر الحرمين من اقدم الوظائف الكبرى في بيت المقدس ، فوجدت في العصر الايوبي ومنذ اوائل العصر المملوكي ، فكان الناظر في عهد الظاهر بيبرس الامير علاء الدين ايدغدي الصالحي[١] . ويتولاها امير كبير برتبة طبلخاناة ، ففي سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) تولى نظر القدس والخليل الامير أحمد بن آل ملك[٢] ، وفي سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وليها الامير بوري الاحمدي[٣] . وفي احيان يتولاها عالم جليل برتبة قاضي القضاة ، عرف فضله بالعلوم والفلاح ، نذكر منهم الامير ناصر الدين محمد بن عمر الشهير بابن العطار (ت ٨٠٨ هـ) ، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الهروي (ت ٨٢٩ هـ)[٤] ، وربما جمع النائب بين النظر والنيابة [٥] . وتولية الناظر تكون بمرسوم سلطاني من القاهرة فيخلع عليه السلطان ويدخل مدينة القدس وهو يلبس هذه الخلعة ، فيتلقاه النائب والقضاة واعيان النيابة ، ويدخل الى المسجد الاقصى حيث يتلى مرسول السلطان[٦] . وكان نظر الحرمين في القدس والخليل يضاف الى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ويكون متوليها ناظر واحد ، كما حدث في عهد السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين حيث ولى في سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب نظر الحرمين الشريفين مكة والمدينة وحرمي القدس والخليل[٧] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٠ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ٢٢١ ، ٢٢٤ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ٣٣٨ .
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ١٣١ ، ١٣٦ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٨١ ،
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٧١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن اختصاصات ناظر الحرمين الاشراف عليها وبناء واصلاح ما يحتاج الى اصلاح ، اضف الى ذلك اشرافه على الاوقاف الخاصة بهما ، وتثمير تلك الاوقاف لصالح الحرمين [١] . اما اموال الاوقاف الزائدة فكان يحتفظ بها في صندوق الصخرة[٢] ، وكان بعض السلاطين يعملون على العناية بأوقاف الحرمين فيرسمون بعمارة ما يحتاج الى عمارة وترميم واصلاح ما يحتاج الى اصلاح من اموال الدولة[٣] .

٢ ـــ مشيخة الصلاحية :

تعتبر المدرسة الصلاحية من اقدم المدارس في بيت المقدس ، انشأها السلطان صلاح الدين الايوبي بعد تحريره بيت المقدس من الفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)[٤] ، مكان كنيسة قديمة تعرف بكنيسة صند حنة (St. Ann) ، والقديسة حنة هي والدة السيدة مريم العذراء وكانت قد سكنت في هذا المكان[٥] . وتقع المدرسة الصلاحية داخل اسوار مدينة القدس وخارج الحرم من جهته الشمالية ، قرب باب الاسباط فلا تبعد عنه سوى امتار قليلة ، وجعلها لتدريس المذهب الشافعي .

والمشيخة الصلاحية من (الوظائف السنية بمملكة الاسلام)[٦] ، ولا يتم توليتها الا بمرسوم سلطاني من القاهرة[٧] ، وعند التعيين يدخل شيخ الصلاحية المدينة ويشق اسواقها وقد ارتدى التشريف السلطاني ، يحف به العلماء والفقهاء والنائب والناظر وينتهي الى المسجد الاقصى حيث يقرأ المرسوم السلطاني[٨] . وشيخ الصلاحية أحد الثلاثة الكبار الذين يصرفون شؤون نيابة بيت المقدس ، أما الآخران فهما نائب السلطنة وناظر الحرمين

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٨١ .

(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٤) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ١٤٥ ، ٦١٢ ، الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤١ .

(٥) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem Ville), p. 91.

(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٤١ .

(٧) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشريفين . وفي احيان يتقلد شيخ الصلاحية منصب قاضي القضاة الشافعية في بيت المقدس[١] ، أو يجمع بين نظر الحرمين الشريفين ومشيخة الصلاحية[٢] .

وكان بعضهم يجمع بين مشيخة الصلاحية وخطابة المسجد الاقصى ، أو بين المشيخة ونصف الخطابة بالمسجد الاقصى ، ونصف مشيخة الخانقاة الصلاحية ، من هؤلاء محب الدين بن جماعة ، وشيخ الاسلام النجمي[٣] ، وكان البعض ينيب عنه في نصف المشيخة احد الشيوخ المقيمين في القدس بينما يظل هو مقيما في القاهرة[٤] .

ولشيخ الصلاحية منزلة خاصة لدى السلاطين ، وهذا دلالة على ما لهذه المدرسة وشيوخها من احترام وتقدير لدى الدولة ورجالها . فاذا قدم الشيخ الى القاهرة ، يخرج امير كبير لاستقباله ويصعد به الى السلطان بقلعة الجبل ، فيقبل عليه السلطان ويكرمه ويجلسه عن يمينه[٥] . ففي سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) قدم الى القاهرة شيخ الصلاحية شمس الدين محمد بن محمود الرازي الهروي ، فأمر السلطان المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي الامير الطنبغا العثماني فتلقاه خارج القاهرة وصعد به الى قلعة الجبل ، فأقبل عليه السلطان واكرمه ، ثم انزله في دار خاصة اعدت له . واثناء اقامته في القاهرة رتب له السلطان في كل يوم مبلغ مائتي درهم ومن اللحم ثلاثين رطلا ، وانعم عليه بفرس اسرج بسرج ذهب والهدايا والثياب الفاخرة ، اضافة الى ما اهدى اليه من رجال الدولة[٦] .

٣ ـــ القضاة :

يعتبر قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابة بيت المقدس ، ويشغل هذا

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٠ ، ٤٨٣ ، ٥٢٥ .
(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٤) المقريزي ، السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٥٨ .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣١٢ .
(٦) المقريزي ، السلوك ، ص ٣١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنصب قاضي القضاة الشافعية الذي كان يجمع الى جانب ذلك منصب شيخ الصلاحية وفي احيان اخرى منصب ناظر الحرمين الشريفين[١] .

وأول من ولي هذا المنصب بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد ، تولاه من قبل صلاح الدين سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) ، فكان يجمع بين قضاء القدس وقضاء العسكر والنظر على اوقاف بيت المقدس[٢] .

وفي العصر المملوكي جعل السلطان الظاهر بيبرس القضاء في اربعة قضاة ، وقد عمم هذا النظام في معظم النيابات في البلاد الشامية والديار المصرية . اما في بيت المقدس فقد اقتصر الامر على قاض شافعي ، ثم تطور الامر تدريجيا حتى اصبحوا اربعة قضاة . فمنصب قاضي القضاة الحنفية احدث في سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، اما المالكي فأوجد في سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) ، وكان آخرها الحنبلي حيث احدث هذا المنصب سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م)[٣] . ولقاضي القضاة نائب في كل من نابلس والرملة والخليل ، وفي احيان تنفرد كل مدينة بقاضيها[٤] .

وكان التعيين في منصب قاضي القضاة بمرسوم شريف من السلطان ، وكعادة الموظفين الكبار في النيابة ، يدخل القاضي المعين مدينة بيت المقدس مرتدياً خلعة السلطان ، ويقرأ توقيعه في المسجد الأقصى بحضور النائب والناظر وبقية القضاة وأعيان النيابة[٥] . ثم صار القضاة يبذلون الأموال للحصول على وظيفة قاضي القضاة في بيت

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٢) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٦١٢ ،
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٢ ، ١١٨ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ .
وذكر مجير الدين أن شيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية في القدس سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) هو شيخ الإسلام نجم الدين أبو البقاء محمد بن جماعة ، أما قاضي القضاة الحنفية فهو جمال الدين عبدالله بن الديري ، وقاضي القضاة المالكي هو شمس الدين أبو عبدالله محمد المغزاوي ، أما قاضي القضاة الحنبلة فهو شمس الدين أبو عبدالله محمد العليمي . (الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٣) .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٧٠ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٥٢٥ .
الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدس ، ففي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) تولى منصب قاضي القضاة الحنفي القاضي جمال الدين الديري (بعد مال كبير بذله في الولاية)[١] .

ويساعد القاضي في وظيفته (المباشرون)[٢] ، وهم الذين يقومون بمساعدة القاضة في الأمور المتعلقة بوظيفته كالكاتب والحاجب وأمناء القاضي والشهود[٣] . أما الحاجب فهو الذي يستأذن على القاضي ويرفع الأمور إليه ، أما الامناء فهم الذين يحتفظون في أموال اليتامى والغائبين ويصرفون زكاة اليتيم لمن يعينها القاضي . أما الشهود العدول فهم الذين يختارهم القاضي لمساعدته في عمله القضائي ، ويختصون عادة بالنظر في صحة الاجراءات القضائية ، ونصت الوثيقة رقم ١٤١ تاريخ ٧٩٥ هـ على وجود (الشهود العدول بالقدس الشريف)[٤] . وكان من أعيان الشهود العدول في بيت المقدس تاج الدين عبد الوهاب ابن القاضي برهان الدين ابراهيم الصلتي الشافعي (ت ٨٧٣ هـ) وصفه الحنبلي بأنه كان من (أعيان العدول بالقدس الشريف وكانت القضاة والحكام يعظمونه)[٥] ، ونجم الدين محمد بن محمد بن بقيرة السوداني الحنفي (ت ٨٥٦ هـ)[٦] .

٤ ـــ الخطابة :

ونعني بالخطابة ، خطابة المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمسجد الابراهيمي في الخليل ، والخطابة من أجل الوظائف الدينية في النيابة وأعلاها رتبة (اذ كان النبي ﷺ يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم)[٧] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) عن وظيفة المباشرين أنظر :
القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٩ .

(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٨٥ ـــ ٨٩ .

(٤) وثائق المتحف الاسلامي في القدس ، وثيقة رقم ١٤١ تاريخ ٧٩٥ هـ .

(٥) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٩ ، وأنظر : ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٢٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتم التعيين في أمامة وخطابة المسجد الأقصى والمسجد الابراهيمي من قبل قاضي القضاة[١] ، ثم من ناظر الحرمين في بيت المقدس ، وأخيراً صار السلطان يتدخل في التعيين في أمامة المسجد والصخرة[٢] ، فيأتي التقليد والمرسوم من القاهرة ، فيدخل الإمام المقدس وهو لابس خلعة السلطان وهي تشريف وطرحة على العادة ، ويقرأ كتاب التقليد في المسجد الأقصى أمام جمهور المصلين والحصور هناك[٣] .

وفي بعض الاحيان كان شيخ الخانقاة الصلاحية في بيت المقدس يتولى مشيخة الحرم الشريف[٤] ، وكان بعضهم يجمع بين مشيخة الصلاحية وقضاء الشافعية وخطابة المسجد الأقصى منهم قاضي القضاة شيخ الاسلام نجم الدين أبو البقاء محمد بن برهان الدين ابراهيم بن جماعة[٥] . ثم صارت الأمامة والخطابة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة يتقاسمها إثنان ، لكل نصف الخطابة أو الأمامة ، ويتم التعيين من السلطان

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٩٨ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١١٠ ،
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٩٧ .

(٣) الحنبلي ، ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٩ ، ٤٩٥ ، وأنظر :
السلوك ج ٤ ق ١ ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ج ٣ ق ٢ ص ٩٢٣ .
التشريف : هو الخلعة التي يلبسها السلطان أو يمنحها لأحد رجال الدولة كي يلبسها عند قراءة التقليد وتسمى هذه الثياب بأسماء تطابق المناسبة التي منحت من أجلها مثل : (خلعة النيابة ، خلعة الوزارة ، خلعة السفر ، خلعة الرضا) . ورفض ثوب التشريف يعتبر اساءة خطيرة ، والخلعة عادة تكون (كاملية) من الصوف مبطنة بفروسمور ، أو ثوباً من الأطلس الأبيض به بنود مطرزة .
(ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٠٨ — ١١١) .
الطرحة : وهي عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين وكان هذا الزي إمتيازاً للطبقة الرفيعة من رجال الدين والموظفين . (ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٩٣) .

(٤) أول من تولى مشيخة الخانقاة الصلاحية غانم بن علي بن حسين الانصاري الخزرجي من قبل صلاح الدين الأيوبي بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ، وتولاها من بعده العديد من ابنائه وأحفاده . ولعائلة الغوانمه المنسوبة إليه آثار جليلة في المسجد الأقصى والمدينة المقدسة ، وقد تولوا خطابة المسجد الأقصى مدة طويلة وبقيت مشيخة الخانقاة الصلاحية بأيديهم الى سنة ٨٩٨هـ .
(الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩٦ ، ٣٧٥ ، ٤٨٢ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٥٤٣ ، وأنظر : أبو الفلاح ، شذرات الذهب ، ج ٥ ص ١٥٥) .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالقاهرة[1] ، وفي أحيان تولى الخطابة بالمسجد الأقصى أربعة شيوخ لكل ربع الخطابة[2] .

ووجد في المسجد الأقصى وظيفة رئيس المؤذنين ، وممن شغلها العدل شهاب الدين أحمد بن محمد الخليلي الشافعي (ت ٨٧٤ هـ) ، وكان أيضاً أحد الشهود العدول في بيت المقدس[3] . وجرت العادة أن تصرف الجامكيات (الرواتب) الى هؤلاء الخطباء والمؤذنين ، ووقفت القرى العديدة في منطقة القدس لهذه الغاية فالوثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ نصت على وقفية لقرية بأعمال القدس ، وكان يسلم ربع وقفها جامكية للخطيب والمؤذن ومصالح السقاية المنصورية على يد (الجناب الكريم العالي السيفي سيف الدين البدري)[4] .

٥ ـــ التداريس :

ويقوم بهذه الوظيفة اساتذة وشيوخ مشهود لهم بالعلم والفضل ، وأنواع هذه التداريس : الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والعلوم العقلية وغيرها من العلوم[5] .

وشهد بيت المقدس في العصر المملوكي نهضة علمية رائدة ، ونتيجة للإهتمام الزائد التي أولاها السلاطين للمدينة المقدسة ، فقد قاموا بانشاء المدارس حتى بلغت نيفا وأربعين مدرسة ، ما عدا المدارس الأخرى المنتشرة في مدن النيابة كالخليل ونابلس والرملة وغيرها . وبعد سقوط بغداد على يد التتار هجرها العديد من العلماء فاستقروا في مدن بلاد الشام والديار المصرية[6] ، ولكن البيت المقدس استأثر بالعديد من هؤلاء العلماء ووضعوا أسس نهضته العلمية . ثم أن البيت المقدس كان هدف هجرة علمية

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ص ١١٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ .

(٢) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .

(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) وثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
سيف الدين بهادر بن عبدالله البدري ، أحد الامراء الكبار في مصر تولى عدة مناصب منها نيابة الكرك ، ثم نفي الى طرابلس وتوفي فيها سنة ٧٤٠ هـ .
(النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٢٤) .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٩ .

(٦) المقريزي ، السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخرى مغربية وأندلسية أمتدت سنين طويلة ، حيث كان القدس (محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم)[1] . وقد اهتم المشارقة بأخوانهم المغاربة المهاجرين ، فأعدوا لهم الاحياء الخاصة وقدموا لهم كل عون ومساعدة ، وكانت الردة الاسبانية (المسيحية) قد بدأت في الاندلس في نفس الوقت الذي بدأت فيه الحروب الصليبية في المشرق . واستقطبت دمشق بادىء الأمر جموع المغاربة ، ونقل الينا الرحالة الاندلسي ابن جبير صورة عن اهتمام المشارقة بالمغاربة من مهاجرين وطلاب علم ، ففي سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) زار دمشق وكان القدس ما زال تحت الاحتلال الصليبي فوصف لنا ما يلاقيه المغاربة في دمشق من عناية ورعاية حتى أن نور الدين زنكي خصص للمغاربة (زاوية المالكية) ، وجعل لها أوقافاً كثيرة منها : طاحونتان وسبعة بساتين وحمام ودكانان بالعطارين . وبلغ دخل هذا الوقف خمسمائة دينار سنوياً تصرف على المهاجرين المغاربة وطلاب العلم منهم[2] . أما بيت المقدس فقد كان وجود المغاربة فيه واضحاً اذ خصص لهم منذ وقت طويل حارة المغاربة وسمي أحد أبواب الحرم القدسي بإسمهم . ونتيجة لاستقطاب بيت المقدس لهذا العدد الكبير من العلماء والفقهاء ورجال العلم ، فقد أصبح في العصر موضوع الدراسة محج طلاب العلم يأتون اليه من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي ، يدرسون في مدارسه ويأخذون العلم عن علمائه . وقد شمل السلاطين المماليك رجال العلم برعايتهم واسبغوا عليهم فيضاً من تشجيعهم وعنايتهم ، وتقربوا من الفقهاء والعلماء بسبب شعورهم بالغربة عن البلاء وأهلها . هذا الشعور جعلهم بحاجة ماسة الى دعامة قوية يستندون عليها ويستعينون بها على ارضاء جماهير المواطنين . وكانت المدارس في ذلك العصر أشبه ما تكون بالمعاهد العلمية العليا أو الجامعات في العصر الحاضر[3] ، أما هيئة التدريس فكانت تتكون من : المدرس والمعيد والمفيد والمنتهي[4] .

وكانت المدرسة الصلاحية على رأس هذه المدارس ، فوظيفة شيخ الصلاحية في قمة الوظائف الدينية في بيت المقدس ، ويكون تعيينه بمرسوم سلطاني من القاهرة[5] . ولا

---

(١) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٦١ .

(٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٥٧ .

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٥٠ .

(٤) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١٥١ — ١٥٥ .
ولمزيد من التفاصيل عن مهمة كل أنظر للباحث تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٣٤ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٥٢٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتولاها الا من أتصف بصفات خاصة ، وكان من خيرة العلماء وأشهرهم له التصانيف والمؤلفات ، وعرف بالعفة والصلاح .

ومن شيوخ الصلاحية نذكر شيخ الإسلام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن عبدالله الدمشقي ثم المقدسي ، ولد بدمشق سنة ٦٩٤ هـ ، وسمع الكثير ورحل في طلب العلم وبلغ عدد شيوخه ٧٠٠ شيخ . ويقول مجير الدين الحنبلي أنه (أخذ عن مشايخ الدنيا وأجيز بالفتوى وجد واجتهد حتى فاق أهل عصره)[١] ، درّس في دمشق ثم في القدس مدرساً بالصلاحية سنة ٧٣١ هـ . وأضيف إليه تدريس الحديث بالمدرسة التنكزية بالقدس من تصانيفه :

١ — القواعد ، كتاب يستمل على علمي الاصول والفروع .
٢ — الوشي المعلم فيمن روى عن ابيه عن جده عن النبي ، في مجلد .
٣ — عقيلة الطالب في ذكر اشرف الصفات والمناقب في مجلد .
٤ — المراسيل والكلام على حديث ذي اليدين في مجلد .
٥ — منحة الرائض بعلوم آيات الفرائض .
٦ — كتاب في المدلسين .
٧ — كتاب تنقيح المفهوم في صيغ العموم .

وتوفي في القدس سنة ٧٦١ هـ (١٣٦٠ م)[٢] .

وقد خصصت الاوقاف الكثيرة لهذه المؤسسات العلمية لينفق منها على المدرسة ومدرسيها وطلابها ، ففي سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) رتب السلطان الاشرف قايتباي لمدرسته في القدس ٦٠ صوفيا ، وجعل لكل صوفي في كل شهر ١٥ درهما ، اما الطلبة فخصص لكل طالب في كل شهر ٤٥ درهما ، اما شيخ المدرسة فجعل له في كل شهر ٥٠٠ درهم[٣] .

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٦ .
(٢) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ١٠٧ .
(٣) الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٤٩٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ ـــ المحتسب :

الحسبة هي امر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله[١] ، قال تعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . وهي وظيفة خلقية وسلوكية أوجدها الاسلام لتدعيم اوجه التعاون والتضامن بين الجميع . والمحتسب يشرف على التجارة الداخلية والاسواق والمكاييل والاوزان ، ويمنع الغلاء والاحتكار والغش والتدليس[٢] . كما يراقب سلوك المجتمع فيمنع الفسوق والفجور والتبرج وتعاطي المسكرات ، ويسترط في المحتسب ان يكون حرا عدلا ذا رأي وصراحة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة[٣] ، ومن صفاته ايضا الرفق في القول وطلاقة في الوجه وسهولة في الاخلاق .

اما محتسب القدس فكان نائبا عن محتسب دمشق عندما كان القدس ولاية ونيابة تابعة لدمشق[٤] ، الا انه استقل فيما بعد عندما اصبح بيت المقدس نيابة مستقلة . والى جانب محتسب القدس وجد في نيابة بيت المقدس محتسب في الخليل والرملة ونابلس وكانت تولية هؤلاء من نائب القدس وحدث في سنة ٨٨٠ هـ ان اصبح تعيين محتسب الخليل بمرسوم شريف من القاهرة لان النائب كان يفرض على محتسب الخليل مقدارا من المال ، فيضطر هذا الى التسلط على الفقراء من المتسببين والتجار لجمع هذه الاموال ، ثم الغي هذا وعاد الامر الى ما كان عليه سابقا[٥] .

٧ ـــ نظر البيمارستان :

أنشأ صلاح الدين الايوبي البيمارستان الصلاحي في بيت المقدس سنة ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م مكان الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بقرب كنيسة القيامة ، وزوده بكل ما يحتاج اليه من العقاقير والادوية ، كما رتب فيه الاطباء الذين يقومون بعلاج

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٠ .

(٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .

(٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ ، ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٢٥ .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرضى . ووقف على هذا البيمارستان عدة مواضع ، وجعل النظر على اوقاف هذا البيمارستان واوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاة الصلاحية الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد لعلمه وكفاءته[١] .

ومن المعروف ان الايوبيين والمماليك اهتموا في اقامة البيمارستانات وتدريس الطب وقاية لاهل البلاد من الاوبئة والطواعين ، واصبحت البيمارستانات بالاضافة الى مهمة التداوي ، تقوم بمهمة التدريس . فكان البيمارستان ينقسم الى اربعة اقسام ، قسم للجراحة ، وقسم للحميات ، وقسم للرمد ، وقسم للنساء . وكان يخصص لكل مريض تخت مستقل لنومه . وبلغ عدد الاطباء في احدى هذه البيمارستانات في العصر الايوبي ستين طبيبا[٢] . وكان في كل بيمارستان عدد من الصيادلة لاعداد الادوية المركبة وتوزيعها على المرضى حسب امر الطبيب .

وكان يعين في كل بيمارستان ناضر خاص برتبة اميركبير ، يقوم بمهمة ادارته ، ووجد في بيت المقدس ناظر البيمارستان ، ووصف القلقشندي هذه الوظيفة بأنها (من أجل الوظائف واعلاها)[٣] .

---

(١) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٦١٢ ، الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ١ ص ٣٩١ ، ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) بنيامين التطيلي ، رحلة بنيامين ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١٣٨ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)
ثالثا : الوظائف الديوانية

١ ــ كاتب الدست :

ويقوم مقام كاتب السر في الرد على الكتب الواردة والصادرة عن النيابة[١] ، وقراءة الكتب الواردة على النائب وكتابة اجوبتها ، واخذ خط النائب عليها ، بالاضافة الى تصريف المراسيم الواردة والصادرة الى النيابة . وكان يشغل هذه الوظيفة في القدس اكثر من كاتب دست ، نذكر منهم شمس الدين محمد بن خضر بن داوود بن يعقوب (ت ٨٤١ هـ) ، وصف بأنه كان دينا خيرا ، روى وحدّث واسمع سنين عديدة[٢] .

٢ ــ ناظر بيت المال :

ولا يتولى هذه الوظيفة الا ذو العدالة من أهل العلم والديانة ، ومهمته النظر في اموال النيابة حيث يرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله بالتصرف فيه اما قبضا أو صرفا[٣] . وذكرت الوثيقة رقم ١٣٤ تاريخ ٧٨٥ هـ عن وجود (ناظر بيت المال) في القدس الشريف ، اما الوثيقة رقم ١٤٨ تاريخ ٧٤٠ هـ فقد نصت على وجود (وكيل بيت المال بالقدس الشريف)[٤] ، وكان يقوم بهذه الوظيفة احيانا ناظر الحرم الشريف ، ووجد في بيت المقدس بيت المال ونعتته وثائق المتحف الاسلامي في القدس (ببيت المال المعمور بالقدس الشريف)[٥] . وذكر القلقشندي ان معظم الوظائف كانت موجودة في نيابة بيت المقدس[٦] ، مثلها في ذلك نيابة دمشق والكرك وصفد وغزة وغيرها .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ص ٤٦٥ .
(٢) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٢١٤ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣١ ، ج ٥ ص ٤٦٥ .
(٤) وثائق المتحف الأسلامي في بيت المقدس رقم ١٣٤ تاريخ ٧٨٥ هـ ، ورقم ١٤٨ تاريخ ٧٤٠ هـ .
(٥) وثائق المتحف الاسلامي في بيت المقدس رقم ١٣٨ ورقم ١٣٩ تاريخ ٧٤٥ هـ ورقم ١٤٩ تاريخ ٧٩٥ هـ .
(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـــ ناظر الجيش :

وموضوعها التحدث في الاقطاعات الخاصة بنيابة بيت المقدس ، والكتابة بالكشف عنها ، واخذ خط النائب عليها بعد أخذ رأيه ، وضبط الاقطاعات للامراء والاجناد في النيابة . ثم الكتابة الى السلطان عن الاقطاعات المتوفرة عن اصحابها بالموت ونحوها ، حيث تحمل الى ديوان الجيش بالديار المصرية ، وبمقتضى ذلك يخرج المنشور السلطاني بشأن هذه الاقطاعات[١] . ولهذه الوظيفة ديوان خاص يثبت فيه المناشير الخاصة بالاقطاعات المقطعة في النيابة ، والصادرة من السلطان في القاهرة ، ويساعد الناظر في مهمته كتاب وشهود[٢] .

---

(١) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(٢) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤)
رابعاً : جيش نيابة المقدس

تردد في المصادر عن وجود قوات في نيابة بيت المقدس ، مما يؤكد أن جيشاً خاصاً وجد بها ، مثلها في ذلك مثل بقية نيابات بلاد الشام . ولدينا إحصائية بعدد جيوش نيابات بلاد الشام أوردها ابن شاهين الظاهري ، ولكنه لم يورد شيئاً عن عدد جيش بيت المقدس[١] . وبذا لا نستطيع اعطاء رقم صحيح لعدد هذا الجيش ، وان كنا نرى بالمقارنة بجيوش نيابات كل من حماة وصفد والكرك[٢] ، ان جيش نيابة بيت المقدس كان بحدود الألف فارس ما عدا الرجالة ورجال القبائل العربية في جبل القدس والخليل وجبل نابلس .

وقد اشتركت قوات بيت المقدس في قمع الفتن في النيابة نفسها وفي خارجها ، وفي التجاريد والحروب التي خاضها المماليك ضد العثمانيين . ففي سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) ثارت عربان بني عقبة في شرقي الاردن على نائب الكرك ، فطلب السلطان الى نائب القدس ونائب غزة نجدة نائب الكرك[٣] . الا أنه في نفس الوقت أسرّ لنائب غزة القاء القبض على نائب الكرك ، فألقى النائبان القبض عليه حسب رغبة السلطان ، وأرسل مع نائب القدس الى دمشق حيث سجن بقلعتها[٤] . وفي سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٤م) اشتركت قوات القدس بقيادة نائبها الامير شاهين الذباح في قتال نائب دمشق تنبك البجاسي الثائر في دمشق ، بالاشتراك مع قوات مصر وصفد ، وتمكنوا من القاء القبض وعليه ، واعتقاله في قلعة دمشق[٥] . ثم اشتركت قوات بيت المقدس مع قوات مصر

---

(١) ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩٤م ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) ابن شاهين الظاهري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ ،
وللباحث : تاريخ شرقي الاردن (القسم الحضاري) ص ٢١ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ .

(٤) المقريزي : المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ٤٥١ .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٢٦٥ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ص ٣٩ ، ٤٤ . وأنظر : الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصفد في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) لمحاربة الامير اينال الجكمي نائب دمشق الخارج عن الطاعة ، فحاربوه وهزموه وألقوا القبض عليه[١] .

وفي أواخر دولة المماليك الثانية قام المماليك بإرسال التجاريد لمحاربة شاه سوار وأعوانه الذين صاروا يضغطون بشدة على حدود دولتهم الشرقية والشمالية . وقد اشتركت القوات من بلاد الشام في هذه التجاريد ، وخصوصاً الرجال المجندون من جبل القدس والخليل وجبل نابلس[٢] . ففي سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) اشتركت قوات بيت المقدس بقيادة نائبها الامير يوسف الجمالي في قتال شاه سوار صحبة القائد الأمير يشبك الدوادار . فهزما شاه سوار والقيا القبض عليه ، واستولت القوات المملوكية على البلاد التي كان قد استولى عليها ، وكانت قوات بيت المقدس قد عادت من هذه التجريدة في ٢٣ شعبان ٨٧٦ هـ[٣] .

وفي سنة ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) بدأت الخلافات بين السلطان الأشرف قايتباي والسلطان بايزيد بن عثمان ملك الروم[٤] ، فجهز الاشرف قايتباي القوات لقتال ابن عثمان وحليفه علي دولات أخي سوار ، وأرسل يطلب القوات من بلاد الشام . فقام الامير جانم نائب القدس بإعداد القوات من القبائل العربية وأهالي جبل نابلس والقدس ، وسار بهم الى الرملة حيث التقى مع الجيش المملوكي القادم من مصر بقيادة الامير تمراز التمشي[٥] .

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ .

(٢) وقد قتل شاه سوار الكثير من الجيش المملوكي ، فابن أياس يذكر القتلى في إحدى هذه التجاريد (وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن حصره) .
(ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ص ٤١٣) .

(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩١ . وأنظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ويصف ابن أياس نهاية شاه سوار ويذكر أنه اقتيد الى القاهرة حيث أعدم على باب زويلة سنة ٨٧٧ هـ .
(بدائع الزهور ، ص ٤٣٩) .

(٤) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥١٨ .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٢ . ويقول ابن إياس ان هذه الحادثة أول الفتن مع ابن عثمان بسبب تعصب الأخير لعلي دولات ، واستمرت الحرب بين العثمانيين والمماليك حتى انتهت بسقوط الدولة المملوكية .
(بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٢) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمرت الحروب بين الطرفين ، فأرسل السلطان في السنة التالية تجريدة لقتال ابن عثمان ، وصفها ابن إياس بأنها (من أعظم التجاريد)[1] ، ولكن السلطان اضطر الى جمع الأموال والرجال من أنحاء الدولة (وحصل للناس من المماليك ما لا خير فيه ، من أخذ البغال والخيول وغير ذلك ، مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة)[2] . حتى ان العلماء والفقهاء لم يسلموا من ذلك ، ففي سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م) ، قدم الامير ماماي الخاصكي الى بيت المقدس ورسم على أكابر الناس وأخذ منهم مالاً ، فأخذ من ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أربعة بغال وحصاناً ، ومن النائب جانم ٢٠٠ دينار ، ومن شيخ الصلاحية ٣٠ ديناراً ومن القاضي فخر الدين بن نسيبه ٤٠٠ دينار ، ومن القاضي شهاب الدين الجوهري ٣٠٠ دينار ، وحصل للناس في بيت المقدس منه شدة[3] . ثم قدم بعده الامير آقبردي الدوادار لتجهيز الرجال من جبل نابلس والقدس لقتال بايزيد بن عثمان ملك الروم ، وصار يتنقل من مكان الى آخر لجمع الرجال ودفع النفقات لهم . فتارة ينزل بأرض قاقون وتارة بأرض اللجون[4] وتارة بالرملة ، واثناء إقامته في جبل نابلس أبقى الشيخ خليل بن إسماعيل في مشيخة جبل نابلس على عادته[5] .

ولكن الصراع مع ابن عثمان والمماليك أخذ يزداد ويستشري ، ففي سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٨م) أمر السلطان إعداد القوات لمحاربة ابن عثمان ، فأرسل الامير آقبردي

---

(١) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٨ .

(٢) ابن أياس : المصدر نفسه ، ص ٥٢٩ .

(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) قاقون : حصن يقع في فلسطين بجوار طولكرم ، وكان يتبع لإقليم قيسارية الواقعة على الشاطئ ، وورد ذكره في المصادر الصليبية كاكو ، شاكو .
(لي سترانج ، ص ٤٣٨) .
اللجون : بلدة تقع في حد فلسطين مع الاردن على بعد ٢٠ ميلاً عن طبريا و٤٠ ميلاً عن الرملة . وهناك اللجون الواقعة في البلقاء بشرقي الأردن على طريق الحج .
(لي سترانج ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ . ويذكر ابن أياس ان آقبردي حضر لإخماد الفتن التي حدثت بين عربان جبل نابلس والتي قتل فيها العديد من الامراء ونذكر منهم الأمير آقبردي بن بخشايش الا ينالي استادار الأغوار .
(بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٣١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدوادار والقاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الى جبل نابلس والقدس لتجهيز القوات للاشتراك في التجريدة[١] . وحضر أعيان بيت المقدس للقائهما في الرملة ، فسلم الامير آقبردي لنائب القدس وقاضيها مبلغ خمسة آلاف دينار ليصرفا على الرجال المعينين من جبل القدس والخليل[٢]. وعند تمام استعدادهم غادرت القوات بيت المقدس ، في مستهل رجب ، وانضمت الى قوات جبل نابلس . ومنها سارت العساكر المقدسية والنابلسية لمحاربة ابن عثمان وحصلت (الشدة بسبب التجاريد وذهاب الناس الى بلاد الروم)[٣].

وقد عاد بعض رجال هذه التجريدة الى بلادهم دون إذن من قادتهم ، فعمد السلطان الى إرسال الامير آقبردي الدوادار الى جبل نابلس والقدس وطلب من نائب القدس دقماق استرجاع مال التجريدة ممن دفع اليه من الرجال . فاسترجع دقماق الاموال بالضرب والحبس بالضرب والحبس والتعذيب (وفعل بهم فعلا لم يسمع بمثله في الجاهلية ، حتى ان بعض الناس باع ابنته كما يباع الرقيق ، وتفاحش الأمر وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالأرض المقدسة من قبل)[٤] . ومع ذلك فان تجهيز المحاربين من القدس ونابلس بقي قائماً ، ففي سنة ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م) أرسل السلطان الامير أزبك لجمع الرجال من جبل القدس وجبل الخليل ونابلس وغيرها من المناطق الفلسطينية للاشتراك في حرب بايزيد بن عثمان ، وحصل للناس شدة بسبب ذلك[٥] . ثم انضمت هذه القوات الى قوات الجيش المملوكي القادم من القاهرة ، وقد وصف ابن أياس هذه التجريدة بأنها من نوادر التجاريد لكثرة ما اشترك فيها من الامراء والاجناد[٦] . وتؤكد المصادر ان الطاعون الذي اجتاح البلاد سبع سنوات أفنى عدداً كبيراً من الجيش المملوكي[٧] ، لذا عمد المماليك الى تجنيد الرجال من نيابة بيت المقدس بسبب كثافتها السكانية ولما عرف عن رجالها من البأس والقوة .

---

(١) ابن أياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٧ .

(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٣) الحنبلي : المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٦) ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٥٩ .

(٧) Kedar, Merchants in Crisis, Yele, U.S.A. 1976, p. 14.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان جيش نيابة بيت المقدس كغيره من جيوش النيابات الأخرى في بلاد الشام ، يشتمل على امراء وأجناد ومماليك ، وهو جيش إقطاعي ، لذا وزعت على الامراء والأجناد الاقطاعات في أنحاء النيابة . وكان هذا الجيش يصغر ويكبر حسب الظروف ، فهو في تقديرنا ألف فارس نظامي ما عدا الرجالة (المشاة) ومماليك الامراء ، ويبلغ أحياناً الألوف ويضم عندئذ رجال القبائل والعشير في جبل القدس والخليل وجبل نابلس ، وكان السلطان يصرف لهم النفقات والجوامك كما رأينا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥)
خامساً : القلعة

قلعة بيت المقدس قلعة إسلامية ذكرها الجغرافيون العرب كالاصطخرى والمقدسي وابن حوقل ، وأشاروا الى أنها بناء مستطيل مبني من الحجر ، فالقادم الى القدس من جهة الرملة تكون القلعة أول بناء يقع نظره عليه ، فهي مرتفعة شامخة[١] . وتقع القلعة في الجهة الغربية ضمن أسوار المدينة[٢] ، وفوق باب الخليل مباشرة . وقد بنيت في هذا المكان كي تدافع عن أحد المداخل الرئيسية للمدينة المقدسة ولتؤكد أهميتها الدفاعية بجلاء اثناء الحصار[٣] . وهي قلعة حصينة كبيرة ظلت تؤدي دورها في العصور المختلفة ، وكانت مكان إقامة والي بيت المقدس ، وحتى أثناء الاحتلال الفرنجي للقدس بقيت القلعة تلعب دورها العسكري ، وعندما إحتل صلاح الدين الأيوبي القدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، أعاد ترميم هذه القلعة وشحنها بالرجال والعتاد ، ورتب فيها والياً يساعده بعض الاجناد[٤] . وفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) أعاد المعظم عيسى صاحب دمشق ترميم القلعة وزاد في أبراجها برجاً وأثبت ذلك على لوحة تأسيسية نقش عليها ما يلي :

> بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله خير نصر المؤمنين عمل هذا البرج المبارك بأمر مولانا الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي المظفر عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي وتولى عمارته عز الدين عمر بن يغمر

---

(١) لي سترانج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ١٨٨ ، وأنظر : ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص ٥٦ .

(٢) كانت بعض القلاع تبني ضمن أسوار المدينة وتشكل جدرانها جانباً من الأسوار ونلاحظ ذلك في (القدس ، والكرك ، وعسقلان ، وبانياس) ، وبعضها يبني مستقلاً عن أسوار المدينة ، كما في (قيسارية ، وعكا ، والقاهرة) Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, p. 273.

(٣) Ibid., p. 274.

(٤) العماد الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ١٤٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعظمي في شهور سنة عشر وستمائة والحمد لله رب العالمين وبشد الفقير الى رحمة الله خطلخ المعظمي[1] .

ثم ان القلعة تعرضت للهدم من قبل المعظم عيسى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) اثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، من قبيل الحيطة كي لا يحتلها الفرنج ويتحصنوا خلف اسوارها . فهدم القلعة واسوار القدس ، وأبقى على برج داود أحد أبراج هذه القلعة[2] . ونتيجة لذلك غادر العديد من السكان المدينة ، فقسم اتجه الى دمشق ، وآخر الى الكرك وثالث الى مصر[3] .

وفي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) سلم الكامل محمد سلطان مصر المدينة المقدسة الى الامبراطور فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة ، ونصت شروط المعاهدة المعقودة بين الطرفين ان تبقى أسوار القدس وقلعتها خرابا . الا أن الفرنج انتهزوا فرصة انشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية فعمدوا الى بناء القلعة وجعلوا برج داود أحد ابراجها . ولكن الملك الناصر داود امير الكرك هاجم الفرنج في بيت المقدس وحرره من سيطرتهم وذلك في سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، فتحصن الفرنج في برج داود ، فحاصرته قواته حتى تمكنوا منه فهدم الناصر هذا البرج وسواه بالارض[4] . أما القلعة نفسها ، فقد ارسل للخليفة في بغداد يستشيره أيهدمها ام يبقيها لتكون معقلا لبيت المقدس وموئلا

---

(١) Van Berchem, Corpus Inscriptionum, (Jerusalem), p. 132. وورد في النقش اسم (خطلخ المعظمي) ، وهو (مبارز الدين بن خطلخ) احد امراء المعظم عيسى ، وقد ساءت العلاقة بينه وبين سيده المعظم ، فأرسله الى مصر سنة ٦١٦ هـ لنجدة لاخيه الكامل محمد اثناء الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ، ورافقه الامير مبارز الدين سنقر الحلبي .
(ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤) .

(٢) Eracles, Recueil des Historiens, H. occ. Vol. 2, p. 379. ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٢٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآت الزمان ، ج ٨ ص ٣٩٥ ، السلامي ، مختصر التواريخ ، لوحة ٣٢٢ (مخطوط) ، وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٠١ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٢ ، وانظر :
Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 134.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمجاورين فيه ؟[١] ، والظاهر ان الناصر داود ابقى القلعة ولكنه بنى مكان برج داود مسجدا وجعل فيه القوام والمؤذنين[٢] .

ثم ان الناصر محمد بن قلاوون جدد بناء هذه القلعة بعد ان انهدمت بعض اجزائها[٣] ، وبني فيها الجامع الحالي سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) واثبت ذلك على لوحة تأسيسية عليها النقش التالي :

> بسمله ... انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان المنصور سيف الدنيا والدين قلاون أعز الله نصره في تأريخ سنة عشرة وسبعمائة حسبنا الله ونعم الوكيل[٤] .

وبقيت القلعة تؤدي دورها في حماية المدينة المقدسة ومكانا لاقامة الوالي حتى العصر المملوكي ، فأصبح في القدس نائبان ووالي . والذي كان يقيم في القلعة سمي (نائب القلعة) أو والي القلعة[٥] ، وكان التعيين فيها يتم من قبل نائب القدس[٦] ، أما نائب السلطنة فكان يقيم في (دار النيابة) . وكان لدى نائب القلعة الاجناد لمساعدته في حفظ الامن والنظام والدفاع عن المدينة المقدسة ، بالاضافة الى ان القلعة كانت مخزنا للمؤن والذخائر والاسلحة . ويتبع نائب القلعة عادة البريد ، فكانت هناك ابراج للحمام الزاجل ولا يأتمر البريدي الا بأوامر نائب القلعة . ووجد في قلعة القدس الطبلخاناه التي كانت تدق ليلا لتعلم الناس بأوقات الليل ، وكانت تشترك في الاحتفالات وكذا اثناء خروج النائب من المدينة أو عند استقبال زائر أو تعيين نائب جديد . وممن تولى نيابة هذه القلعة

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٢ . وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٣ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٠١ .

(٤) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 160. اشرنا الى ان الناصر داود هو الذي بنى الجامع مكان برج داود ، ولكن هذه اللوحة تروي ان هذا الجامع هو من بناء الناصر محمد بن قلاوون ، لذا فاننا نرى ان محمد بن قلاوون جدد بناءه واثبت ذلك في هذا النقش .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٣٢٥ ، الخالدي ، المقصد الرفيع المنشا ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نذكر : شرف الدين موسى الردادي تولى هذا المنصب من قبل السلطان في القاهرة ، والظاهر ان التولية فيها اصبحت فيما بعد من قبل السلطان[1] . وبقيت القلعة تؤدي دورها في العصر العثماني ، فرممها السلطان سليمان الثاني في سنة ٩٣٨ هـ (١٥٣١ م) ، وأثبت ذلك في نقش كتابي نقله الينا برشيم في كتابه[2] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٥ ، وانظر نص التوقيع في الملاحق .

(٢) Van Berchem, p. 147.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٦)
سادسا : ولاية نابلس والرملة والخليل

اتسعت نيابة بيت المقدس فاشتملت على كل من : الرملة ونابلس والخليل ، وكان طبيعيا ان تكون الخليل تابعة للقدس ، اذ ان نائبها في احيان كثيرة كان يتولى نيابة بيت المقدس ونظر الحرمين في القدس والخليل . أما الرملة فكانت موضع نزاع بين نيابة غزة ونيابة بيت المقدس ، ففي احيان تتبع غزة وفي اخرى تكون تابعة للقدس ، ولكن في أواخر دولة المماليك الثانية صدر المرسوم السلطاني بضم كشف الرملة الى نيابة بيت المقدس[١] . أما في اوائل دولة المماليك الاولى فان اللد والرملة كان يتولاها الامير غرس الدين بن شاور وذلك سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م)[٢] . وكانت نابلس ايضا ضمن املاك نيابة بيت المقدس ، فالمرسوم السلطاني كان ينص على تولية نائب بيت المقدس (نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس)[٣] . وجرت العادة ان يعين النائب في كل من الرملة ونابلس (كاشفا) ينوب عنه في حكم الولاية[٤] . ويذكر الخالدي ان متولي نيابة بيت المقدس يكون من الابواب الشريفة في القاهرة ، ويضاف اليه نظر القدس والخليل وربما اضيفت اليه الرملة ونابلس[٥] . ووجد في كل من الرملة ونابلس قوات كانت تساعد الوالي في نشر الامن في ربوع الولاية ، وربما كلفت تلك القوات في مهمات خارج الولاية كالقضاء على الفتن والخارجين على الدولة[٦] .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧١٥ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ،
ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٣٤٨ .
وفي سنة ٨٤٠ هـ ولى السلطان برسباي الامير طوغان العثماني نظر الحرمين الشريفين ونيابة السلطنة بالقدس الشريف وبلد الخليل وكاشف الرملة ونابلس ومتولي الصلت وعجلون واستادار الاغوار .
(الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٥) .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٤ . ومن الذين تولوا كشف الرملة (الجمالي يوسف) .

(٥) الخالدي ، المقصد الرفيع المنشا ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ ـــ نابلس :

ونابلس من مدن فلسطين المشهورة ، ذكرها الجغرافيون والمؤرخون العرب والمسلمون ، وتبعد عن القدس مسافة ٧٥ كم ، وحولها معاملة جميلة كثيرة الخيرات ، وتكثر فيها المياه الجارية والحمامات والمساجد والمدارس ، نذكر منها المدرسة الفخرية التي بناها القاضي فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بالديار المصرية في عهد الناصر محمد بن قلاوون[١] . ويذكر ابن بطوطة الذي زارها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) انها تشتهر بالاشجار وخصوصا اشجار الزيتون ، ويصدر زيت الزيتون الى دمشق والقاهرة والى جزر البحر المتوسط ، ويصنعون منه الصابون الجيد[٢] ، لذا انتشرت المصابن في نابلس لصنع الصابون[٣] . ويذكر الدمشقي ان قسما من هذا الزيت كان يرسل الى دمشق لاضاءة الجامع الاموي وبلغ ألف قنطار شامي سنويا[٤] . وفي نابلس كانت تصنع حلواء الخروف وتصدر الى دمشق ومصر وغيرها[٥] ، كما كثرت فيها اماكن صنع الورق (الوراقة)[٦] واستخدموا حلفاء الاغوار لهذه الغاية . ولكثرة ما يخص السلطان من زيت نابلس فقد كان يفرض بيعه على اهالي وتجار الرملة والقدس والخليل وغزة بأسعار باهضة مما يسبب تذمر واستياء الاهالي[٧] .

وقد لعبت منطقة جبل نابلس دوراً له أهميته في أواخر دولة المماليك الثانية (الجراكسة) ، فللكثافة السكانية التي كانت تتمتع بها أصبحت مصدراً لجمع الرجال وتجنيدهم لحرب ابن عثمان بعدما أصبحت القوة المملوكية تضعف تدريجياً بسبب قلة مواردها الاقتصادية وتحول طرق التجارة العالمية عن ممتلكاتها في مصر والشام .

وكان يحكم نابلس أمير أو كاشف يعين من قبل نائب بيت المقدس يساعده بعض الاجناد في حفظ الامن والنظام في الولاية ، رتبته أمير طبلخاناه ومن أمراء الطبلخاناه

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٢٩٦ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ Benvenisti, The crusaders in the Holy Land, p. 161.

(٣) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), p. 11.

(٤) لي سترانج ، ص ٤٨٧ .

(٥) ابن بطوطه ، الرحلة ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٦) Van Berchem, Corpus, p. 214.

(٧) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين تولوا نابلس الأمير أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم التميمي (ت ٧٦٠ هـ)[١] وفي أحيان يتولاها أمير برتبة أمير عشرين أو أمير عشرة[٢] . الا أن التعيين في ولاية نابلس أصبح فيما بعد من السلطان في القاهرة ، وقد نقل الينا القلقشندي نسخة توقيع بولاية نابلس من انشاء ابن نباتة ، طلب السلطان فيه من الوالي مراقبة الأمن والمحافظة على أرواح وأرزاق المواطنين وإصلاح أمور العشير في جبال نابلس[٣] .

ب — الرملة :

الرملة مدينة قديمة وجدت في العصر البيزنطي ونالت إهتمام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فجدد بناءها عندما كان أميراً على فلسطين وأتخذها حاضرة جنده .[٤] فهو أول من مصرها وجعلها من المدن الفلسطينية الهامة . وتبعد الرملة عن القدس مسافة ١٨ ميلاً ، وتقع في منطقة خصبة تحيط بها المزارع والحقول ، وقد أطنب الجغرافيون العرب في وصف حسنها وجمالها ونظافة شوارعها وكثرة فنادقها وإتساع مساجدها ، وانها ذات تجارة رائجة وأسواق مملؤة بالسلع والبضائع المختلفة[٥] .

وذكر ناصر خسرو الذي زارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ان معظم بيوت الرملة زينت بالرخام المنقوش الكثير الزينة والذي اشتهرت به المنطقة

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٠٠ .
أمير عشرة : والجمع أمراء العشرات ، وهم الطبقة الثالثة في صفوف الامراء المماليك ، ولكل أمير عشرة عشرة فوارس . أما أمراء العشرين فهم الطبقة الثانية في صفوف الامراء المماليك وكل أمير عشرين له عشرون فارساً . وطبقة أمراء العشرة هم أكثر طبقة في الجيش المملوكي .
(القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٥) .
وللباحث ، غلاوة الشيعة الباطنية في بلاد الشام ، جمعية المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨١ ، ص ٣٤ هامش رقم ٤٤ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٢٢ ،
وأنظر نص التوقيع في الملاحق .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ١٨١ .

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق (القسم الخاص ببلاد الشام) ، ص ٤ .
لي سترانج ، ص ٢٥٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحيطة ، وهو أنواع منه : الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض[١] . أما ابن بطوطة فقد زارها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فذكر أنها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الأسواق ، وبها الجامع الأبيض الذي بناه الخليفة سليمان ابن عبد الملك ، وهو جامع كبير في غاية الحسن والجمال[٢] .

وكان يحيط بمدينة الرملة سور متين ولها قلعة حصينة هدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن حررها من الفرنج ، وكانت عادة هدم أسوار المدن والقلاع منتشرة في العصر الأيوبي ، وفعل بعض السلاطين المماليك ذلك منهم الأشرف خليل بحجة منع الفرنج من إعادة احتلالها والتحصن خلف أسوارها . فالعادل هدم قلعة الطور وكوكب الهواء ، والمعظم عيسى هدم أسوار القدس ، أما الأشرف خليل فهدم أسوار عكا وصيدا وبيروت وصور وحيفا وعثليت وانطرسوس[٣] . وقد تلاشت أسوار الرملة وقلعتها في العصر المملوكي ، ولكن أسواقها بقيت عامرة كثيرة متشعبة نذكر منها : سوق القماحين ، وسوق البصالين ، وسوق القطانين ، وسوق المشاطين الذين يمشطون الكتان ، وسوق العطارين ، وسوق الحبابين ، وسوق الخرازين ، وسوق البقالين ، وسوق الصياقلة ، وسوق السراجية[٤] . وقد اهتم السلاطين المماليك بمدينة الرملة وأقاموا فيها بعض المنشآت نذكر منهم : الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون والظاهر جقمق وغيرهم .

وكان يتولى مدينة الرملة واللد أمير وذلك منذ عهد الظاهر بيبرس ، وبقي الأمر كذلك حتى عهد السلطان قلاوون ، ففي سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) القى السلطان قلاوون القبض على الامير غرس الدين بن شاور متولي الرملة ولد وولي عوضه الامير علم الدين سنجر الصالحي[٥] . وبقيت ولاية الرملة حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون ولاية صغيرة ، الا أن السلطان برقوق رفع رتبة متوليها فأصبح (كاشفاً) طبلخاناه[٦] ،

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ .

(٣) Prawer, The Latin Kingdom, p. 379.

وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ١٣٥ ، ١٤١ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٩٨ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧١٥ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأضيفت إليه اللد ، وممن أصدر السلطان لهم توقيعاً بكشف الرملة الأمير أبو بكر أمير علم[١] . وباعتقادنا أن الظاهر برقوق رفع رتبة متولي الرملة في نفس الوقت الذي جعل من القديس نيابة مستقلة . وكان كاشف الرملة في سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) الأمير تغري برمش[٢] ، وفي سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) اشترك كاشف الرملة مع ناشب القدس وغيره في نجدة نائب الكرك ضد قبائل بني عقبة الثائرة هناك[٣] .

وتحولت الرملة فيما بعد الى استادارية تماماً كاستادارية الأغوار لأهميتها وأصبح متوليها أمير برتبة استادار . وممن تولى استادارية الرملة الأمير شاهين الكيالي الذي بني فيها منارة ومسجداً وأوقف عليه أوقافاً كثيرة وذلك سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) في عهد السلطان جقمق[٤] . ومع ذلك بقيت استادارية الرملة تابعة لنيابة بيت المقدس ، اذ كان المرسوم يصدر من القاهرة بأن يكون لنائب القدس حق الكشف على الرملة ونابلس كما حدث سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م) فقد عين السلطان الأشرف برسباي الأمير طوغان نائباً لبيت المقدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس[٥] . وهناك نقش حجري محفوظ في المتحف الإسلامي في القدس عليه مرسوم صادر عن السلطان قايتباي سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) لكاشف الرملة يطلب منه عدم معارضة التركمان هذا نصه :

١ — المراسيم بالأمر الشريف السلطاني الملكي الاشرفي .
٢ — أبو النصر قايتباي عز نصره الى كاشف الرملة ...
٣ — كاشف أنه لا يعارض التركمان الفرات ولا يطلب منهم .
٤ — بإخارة ولا يطفهم الدرهم الفرد كل من خالف ذلك يخالف .
٥ — الامر الشريف بتاريخ تاسع صفر سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة[٦] .

---

(١) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج ١٢ ص ٣١٥ .
وأنظر نص التوقيع في الملاحق .
(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٧٥ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ ، ٤٥١ .
(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، وأنظر :
الخالدي ، المقصد الرفيع ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .
(٦) Levant, Vol. XI, 1979, p. 135.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن الرملة كانت في أحيان أخرى تابعة لنيابة غزة مما يسبب نزاعاً وخلافاً بين النيابتين فعمد السلطان قايتباي سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) الى نقل كشف الرملة نهائياً الى نيابة بيت المقدس وأصدر مرسوماً بذلك بأن جعل التكلم على كشف الرملة للأجير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس وأخرجت عن الأمير قاني بك نائب غزة[١] .

جـ — الخليل :

تقع الخليل الى الجنوب من بيت المقدس في واد بين الجبال ، وذكر الجغرافيون العرب والمسلمون كالاصطخري والمقدسي وناصر خسرو والادريسي وياقوت أنها تشتهر بالأشجار الكثيرة المتنوعة كالزيتون والتين والجميز والعنب والتفاح والخروب ، وفاكهتها لا مثيل لها ويصدر قسم كبير منها الى مصر والبلاد المجاورة[٢] ، كما تجود فيها زراعة القمح والشعير[٣] ، وسميت بالخليل نسبة الى ابراهيم الخليل الذي دفن في مغارة تحت الأرض ، وله مسجد وزوار ، وقد وقفت بلد الخليل مع قرى أخرى كثيرة على هذا المشهد[٤] .

وأصبح بلد الخليل في العصر المملوكي إقطاعاً لناسب الكرك ، ففي سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) منح الملك الظاهر بيبرس الأمير عز الدين أيدمر الظاهري بلد الخليل أقطاعاً له ، ثم انتزعه منه ومنحه لنائب الكرك الجديد الأمير علاء الدين أيدكين الفخري[٥] . ومن المعروف أن الخليل كانت في العصر الصليبي تقع تحت سلطة لوردات بارونية شرقي الأردن (الكرك)[٦] .

وكان في بلد الخليل قلعة حصينة مبنية بحجارة ضخمة مربعة ملاصقة للمسجد من

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٣ .

(٢) لي سترانج ، ص ٢٥٧ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٣ .

(٤) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٢٦ .
ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥١ .

(٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٤٢ ، وللباحث ، شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى القسم الحضاري ، ص ٧ .

(٦) Benvenisti, op. cit., p. 13.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جهته الغربية ، الا أن السلطان الناصر حول هذه القلعة الى مدرسة ووقف عليها أوقافاً عديدة[١] . ويؤم الخليل العديد من الزوار وقد أعد لهؤلاء الضيوف والزائرين والمسافرين (مضيف) يقوم على خدمتهم وتقديم الطعام إليهم . لذا أقيمت الطواحين التي تدار بواسطة البغال والثيران لطحن الدقيق ، وأعدت الخادمات في هذا المضيف لخبز الارغفة طوال اليوم . ويقدم لكل شخص يومياً رغيف مستدير وطبق من العدس المطبوخ بالزيت وشيء من الزبيب ، ويذكر ناصر خسرو ان الزوار كانوا يبلغون في بعض الأيام خمسمائة زائر[٢] . وقد توقفت هذه الخدمة في فترة الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة ، ولكن السلطان الظاهر بيبرس أعادها كما كانت سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) كما رتب الرواتب للمقيمين والواردين الى مدينة الخليل[٣] .

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) زار ابن بطوطة الخليل فذكر أنها مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار ، حسنة المنظر ، في بطن واد ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل[٤] ، ومن أسواقها نذكر : سوق الحصرية ، وسوق الزياتين ، وسوق الغزل[٥] .

وقد عمد الناصر محمد بن قلاوون الى جعلها ولاية وعين فيها واليا مستقلا وبقيت كذلك حتى تحول القدس الى نيابة مستقلة ، فأضيفت بلد الخليل الى نيابة بيت المقدس ، وصار النائب يتولى — بالاضافة الى بيت المقدس — نظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل[٦] . وكانت مدينة الخليل في العصر المملوكي تحتوي على حارات عديدة منها : حارة الاكراد وتقع شرقي المسجد ، ثم حارة الجبارية ، وحارة المشرفية ، وحارة السواكنة ، وحارة النصارى ، وحارة اليهود ، وحارة الزجاجين ، اما حارة الدارية فتقع غربي المسجد وهي احسن الحارات وفيها معظم اسواق البلد[٧] .

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٢٦ ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ ، لي سترانج ، ص ٢٥٧ .
(٢) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٧٣ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ .
(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥١ .
(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ .
(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .
(٧) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقيم في الخليل في العصر المملوكي العديد من المدارس كمدرسة السلطان حسن ، والمدرسة الفخرية نسبة الى القاضي فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية (ت ٧٣٢ هـ /١٣٣١ م)[١]، والمدرسة القيمرية وتقع قرب عين الطواش وبجانب باب المسجد الشمالي[٢] . وهناك العديد من الزوايا والاربطة والمساجد التي اقامها المماليك في الخليل منها : زاوية القواسمة ، والزاوية البسطامية ، والزاوية السمانية ، وزاوية شيخون ، والزاوية القادرية ، ورباط مكي ويقع غربي المدينة ، ورباط الحما عيلي بحارة النصارى ، والرباط المنصوري نسبة الى السلطان قلاوون ويقع تجاه باب القلعة . ومسجد ابن عثمان الواقع بسوق الحصريه والزياتين ، والمسجد الجاولي نسبة الى الامير علم الدين سنجر الجاولي ومسجد مسعود وغيرها كثير[٣] . ومن المعالم الهامة في الخليل البيمارستان المنصوري ، بناه السلطان قلاوون سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ووقف عليه الاوقاف العديدة ، ورتب فيه الاطباء لخدمة سكان بلد الخليل[٤] .

وفي اواخر القرن التاسع الهجري كانت الدولة المملوكية في طور الانحدار والضعف ، ولم تقو على الصمود امام ضغط العثمانيين ، فعمد السلاطين الى تجنيد الرجال من جبل الخليل لقتال ابن عثمان ملك الروم[٥] ، وهذا دلالة على ان الديموغرافية السكانية في الخليل ومعاملتها كانت كبيرة وكثيفة ، لذا عمد السلاطين المماليك الى تجنيد الرجال وتسخيرهم للقتال في صفوف قواتهم . ولم تذكر المصادر عن وجود والي مستقل لمدينة الخليل ، كما كان في كل من الرملة ونابلس فكان في كل كاشف يعين من نائب القدس ، اما الخليل فكانت تتبع نائب القدس مباشرة ، وناظر الحرمين فيهما ناظر واحد .

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ ، عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ج ١ ، ١٩٦١ م ، ص ٢٤٦ .

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ ، ٢٧٢ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٧٩ .

(٥) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس

١ ـــ الزراعة واقطاع الاراضي .
٢ ـــ التجارة الداخلية والخارجية .
٣ ـــ المكاييل والاوزان .
٤ ـــ السكة .
٥ ـــ الموارد المالية في النيابة .
٦ ـــ الاوقاف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١)
الزراعة واقطاع الاراضي

كانت أراضي نيابة بيت المقدس اقطاعات عسكرية شأنها في ذلك شأن بقية الاراضي الشامية والمصرية معا ، ويرى استاذنا الدكتور عبد العزيز الدوري ان تحولا هاما دخل الى العراق بعد التغلب البويهي في القرن الرابع الهجري وذلك بمنح الجند (اقطاعات) بدل العطاء ، وشمل هذا الاقطاع انواع الاراضي كلها ، وهذا ما يسمى (الاقطاع العسكري)[١] ، وتطور هذا الاقطاع في العصر السلجوقي فأتموا ما بدأه البويهيون ، فمنح السلاجقة الاقطاع لجنودهم بدل العطاء ، وكانت سعة الاقطاع تتناسب وعدد المقاتلين الذين يقدمهم المقطع ، وهو على هذا يتمتع بنفوذ محلي في اقطاعه[٢] . وعن السلاجقة نقل الزنكيون والايوبيون والمماليك نظام الاقطاع العسكري ، ونشروه في مصر وبلاد الشام .

ودخل النظام الاقطاعي العسكري للاراضي الفلسطينية منذ دخول السلاجقة الى بلاد الشام في القرن الخامس الهجري ، حتى ان بيت المقدس كان اقطاعا للاراتقة ثم تكن الافضل شاهنشاه وزير مصر الفاطمية فيما بعد من انتزاع بيت المقدس من سكمان وايلغازي ولدي ارتق بن اكسب وولي عليه من قبله في نفس الوقت الذي كانت فيه جموع الحملة الصليبية الاولى في طريقها الى بيت المقدس[٣] ، حيث استولوا عليه في سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) واقاموا فيه مملكة بيت المقدس اللاتينية . وقد نقل الفرنج الى بلاد الشام بعض النظم الاقطاعية الاوروبية ، وكان معظم السكان في الاراضي الفلسطينية مرتبطين بالزراعة ، لانها كانت تشكل القواعد الاقتصادية للنظام

---

(١) عبد العزيز الدوري ، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، فصلة من مجلة المجمع العراقي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٤ ، ١٥ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢١ ، وانظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٣ ص ١٣٩ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ١٠٤ ، للباحث ، بيت المقدس في الحملة الصليبية الاولى ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عاما ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ ، ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرنجي[١] . وقبل مجيء الفرنج الى بلاد الشام ، انعدمت الزراعة في بعض المناطق الفلسطينية نتيجة للصراع الذي نشب بين السلاجقة والفاطميين ، وبعد الهجمة الصليبية الاولى هجر الآلاف من السكان قراهم في فلسطين ، فأدى ذلك الى خراب العديد من الحقول الزراعية[٢] . وعند تحرير بيت المقدس من الفرنج سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) اضطر صلاح الدين الايوبي الى تزويد بيت المقدس والمدن الفلسطينية الاخرى بالغلال من البلقاء والصلت في منطقة شرقي الاردن[٣] .

أما في العصر الايوبي ، فقد اقطعت مدن وقرى عديدة من فلسطين الى بعض الامراء والملوك الايوبيين ، فالكامل محمد اقطع الناصر داود الكرك وعجلون والبلقاء ونابلس والخليل وبيت جبريل واعمال القدس ، لان القدس منحه لفردريك الثاني امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) . أما الصالح نجم الدين ايوب فقد اقطع في سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) بيت المقدس للخوارزمية وبقيت بأيديهم لفترة قصيرة[٤] . واقطع الناصر يوسف صاحب دمشق الامير ركن الدين بيبرس البند قداري خبز مائة فارس منها : نابلس وجنين وزرعين ، كما اقطع بعض الامراء البحرية اجزاء من الساحل الفلسطيني[٥] . وهناك قرى عديدة اقطعت لبعض الامراء بعد عزلهم ، فكانوا يذهبون للاقامة قرب اقطاعاتهم ، ففي سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م) اقطع كل من الاميرين طيبرس الوزيري وسنجر الحموي قرية في منطقة يافا واللد ، كما اعطي الامير علاء الدين الحجي الركني قريتين في فلسطين عندما عزل من منصبه[٦] .

وفي العصر المملوكي كانت مدينة الخليل اقطاعا لنائب الكرك[٧] ، وفي سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) اقطع الامير شيخ الصفوي نصف بيت لحم وبيت جاله ، الى

---

(١) Benvenisti, The Crusaders in the Holy Land, p. 213.

(٢) Ibid., p. 213.

(٣) العماد الكاتب ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ج ٢ ص ٦١١ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ص ١٩٧ .

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ج ٥ ص ٣٣٧ .

Robert, Iqtâ, and the end of the Crusader States, from The Eastern Mediterranean lands, Edited by: Holt, England, 1977, p. 64.

(٥) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٧ ، ٩٩ . Robert, Iqtâ, p. 64.
وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٢٩٥ .

(٦) Robert, Iqtâ, p. 68.

(٧) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٤٢ . Robert, Iqtâ, p. 65.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جانب اقطاعه[1] ، وكان اذ ذاك مقيما في بيت المقدس . ومن اوائل من ادخل (الاقطاع العسكري) الى فلسطين في العصر المملوكي ، الملك الظاهر بيبرس البند قداري . فبعد فتح أرسوف من الفرنج سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م) كشف بلاد قيسارية ووزع الاقطاعات على امرائه وكتب قاضي دمشق شمس الدين بن خلكان مرسوم التملك لهذه الاقطاعات على الشكل التالي :

أ ـــ القرى المقطعة بكمالها لأمير من الامراء وهي :

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
عتيل	فارس الدين اقطاي	بكمالها
أفراسين	ركن الدين خاص ترك الكبر الصالحي	بكمالها
باقة الشرقية[2]	علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحي	بكمالها
أم الفحم[3]	جمال الدين آقوش النجمي (نائب السلطنة بالشام)	بكمالها
تبان (من قيسارية)	علم الدين سنجر الحلبي	بكمالها
دير الغصون[4]	ناصر الدين محمد بن بركتخان	بكمالها
علاّر	سيف الدين قشتمر العجمي	بكمالها
أقتابة	علم الدين طرطج الاسدي[5]	بكمالها
خان سيدا[6]	حسام الدين ايتمش ابن أطلس	بكمالها
الصفرا	علاء الدين كندغدي الظاهري	بكمالها
القصير	عز الدين أيبك الفخري[7]	بكمالها
أخصاص	علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري	بكمالها
فرديسيا (من قيسارية)	سيف الدين بيدغان الركني	بكمالها

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨٨٩ .

(٢) تقع بين نابلس وقلقيلية .

(٣) تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا .

(٤) في المقريزي (دير الغصون) والاسم هو (بدر الدين محمدي ولد الامير حسام الدين بركة خان) . السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٥) ورد اسمه في كتاب حسن المناقب السرية ، (علم الدين طروج الآمدي والقرية (أسناتا) ص ٩٦) .

(٦) أرى انه (خان زيتا) ، حيث يوجد قرية اسمها زيتا شمال طولكرم .

(٧) ورد الاسم في السلوك (عز الدين الاتابك الفخري) ج١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب ـــ القرى المقطعة لاكثر من أمير وهي :

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
زيتا	جمال الدين ايدغدي العزيزي	نصفها
زيتا	شمس الدين الدكز الركني[1]	ربعها
زيتا	سيف الدين قليج البغدادي	ربعها
طولكرم	بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي	نصفها
طولكرم	بدر الدين بيليك الخزندار	نصفها
قلنسوة	عز الدين أيدمر الحلبي الصالحي	نصفها
قلنسوة	شمس الدين سنقر الرومي الصالحي	نصفها
طيبة الاسم	سيف الدين قلاوون الالفي الصالحي	نصفها
طيبة الاسم	عز الدين ايغان سم الموت الركني	نصفها
بورين	جمال الدين آقوش المحمدي الصالحي	نصفها
بورين	فخر الدين الطنبا الحمصي	نصفها
بيزين	بدر الدين بيليك الايدمري الصالحي	نصفها
بيزين[2]	جمال الدين ايدغدي الخاصّي الناصري	نصفها
حكمة	فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث	ثلثها
حكمة	شمس الدين سلار البغدادي	ثلثها
حكمة[3]	صارم الدين صراغان	ثلثها
البرج الاحمر	ناصر الدين القيمري	نصفها
البرج الاحمر	سيف الدين بلبان الزيني الصالحي	نصفها
يمّا	سيف الدين ايتامث السعدي	نصفها
يمّا	شمس الدين آق سنقر السلحدار الظاهري	نصفها

(١) ورد الاسم في المقريزي (شمس الدين الذكر الكركي) ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٢ .

(٢) أرى انها بير زيت القريبة من القدس .

(٣) شافع بن علي ، حسن المناقب السرية ، ص ٩٥ . وحكمة بلدة في شمال الاردن الحالية قرب مدينة اربد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
دنابّه	الملك المجاهد ابن صاحب الموصل[1]	نصفها
دنابّه	الملك المظفر صاحب سنجار	نصفها
الشويكة (قرب طولكرم)	عز الدين أيبك الافرم الصالحي	نصفها
الشويكة	سيف الدين كرمون أغا التتري	نصفها
طبرس	بدر الدين الوزيري	نصفها
طبرس	ركن الدين منكورس المهمندار[2]	نصفها
عرعرا	علاء الدين كور قبشاق[3]	نصفها
عرعرا	سيف الدين قفجق البغدادي	نصفها
فرعون	سيف الدين دكجل البغدادي	نصفها
فرعون	علم الدين سنجر الازكشي	نصفها
أرتاح	عز الدين أيبك الحموي الظاهري	نصفها
أرتاح	شمس الدين سنقر الألفي	نصفها
باقة الغربية	علاء الدين طبيرس الظاهري[4]	نصفها
باقة الغربية	علاء الدين علي التنكزي	نصفها
قفّين	ركن الدين بيبرس المعزّي[5]	نصفها
كفر راعي	علاء الدين كندغدي الحبيشي مقدم الامراء	نصفها
كفر راعي	شجاع الدين طغريل الشبلي امير مهمندار	نصفها
كستا	شرف الدين بن أبي القاسم[6]	نصفها
كستا	بهاء الدين يعقوب الشهرزوري	نصفها
برنيكية	جمال الدين موسى بن يغمور الاستادار	نصفها

---

(١) ورد الاسم في المقريزي (الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة) ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٢) في القريزي (ركن الدين منكورس الدويداري) ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٣) في المقريزي (الامير علاء الدين أخو الدويدار) ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٤) الاسم في السلوك (علم الدين طبيرس الظاهري) ، ج ١ق ٢ ص ٥٣٣ .

(٥) في السلوك (ركن الدين بيبرس المغربي) ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٣ . ولم تذكر المصادر لمن اعطي النصف الثاني .

(٦) ورد الاسم في مفضل بن أبي الفضائل (شرف الدين عيسى الهكاري) ، النهج السديد ، ج ١ ص ١٤٣ .

القرية	الامير المقطع	مقدار الاقطاع
برنيكية	علم الدين سنجر العزازي[1]	نصفها
حانوتا (من أرسوف)	علم الدين سنجر امير جاندار[2]	نصفها
حبلة (من أرسوف)	عز الدين ايدمر الظاهري نائب الكرك	ثلثها
حبلة	شمس الدين سنقرجاه الظاهري	ثلثها
حبلة	جمال الدين آقوش السلاح دار الرومي	ثلثها
جلجولية	بدر الدين بكتاش الفخري	ثلثها
جلجولية	علاء الدين كشدغدي الشمسي	ثلثلها
جلجولية	بدر الدين بكتوت كجكا الرومي	ثلثها[1]

وهكذا فإن البويهيين هم الذين بدأوا خط الاقطاع العسكري ، والسلاجقة هم الذين نشروه وأعطوه أبعاداً جديدة ، فإتخذ الاقطاعيون لأنفسهم حقوق السيادة على الفلاحين والزراع ، وفرضوا عليهم رسوماً وقيوداً شلت حركتهم وحدّت من حريتهم[3] ، ونتيجة لتطور الأحداث اضطرت الدولة الاعتراف بتلك التطورات فأصبح الاقطاع الأرض ثم صار وراثياً يصاحبه سلطة شاملة على الزراع ، كل هذا مقابل تقديم الجند للدولة[4] .

أما الاقطاع العسكري في الدولة المملوكية فلم يكن وراثياً ، فهو ينتهي بموت صاحبه ، وربما انتزع منه ومنح لأمير آخر ، ولكننا نجد حالات خاصة لبعض (إقطاعات التمليك) التي تنتقل للورثة الابناء أو الأخوان[5] . وهنا نتساءل عل

---

(١) ورد الاسم في السلوك (علم الدين سنجر الحلي الغزاوي) ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٤ .

(٢) لم تذكر المصادر لمن اعطي النصف الثاني من حانوتا .

(٣) وردت قائمة هذه الاقطاعات في كل من :

شافع بن علي عباس الكاتب ، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ م ، ص ٩٤ — ٩٦ ،

مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩٢٠ م ، ج ١ ص ١٣٩ — ١٤٤ . المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٠ — ٥٣٤ .

(٤) نظام الملك الطوسي ، سياست نامة ، ترجمة الدكتور يوسف بكار ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٨١ م .

(٥) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٦) Robert, Iqtâ, p. 68.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاقطاعات السالفة الذكر التي منحها الظاهر بيبرس لامرائه إقطاعات تمليك أم إقطاعات عسكرية ؟ ففضل بن أبي الفضائل ذكر أن الظاهر بيبرس (أمر أن تملك الامراء المجاهدين البلاد التي فتحها الله عز وجل على أيديهم وكتب التواقيع بذلك)[١] ، أما شافع بن علي فقال : (وخرج الأمر العالي ، لا يزال يشتمل الأعقاب والذراري وينير إنارة الأنجم الدراري أن يملك جماعة أمرائه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكنون الشريف يسطرون ، مما يعين من البلاد والضياع)[٢] . وأورد المقريزي نص كتاب التمليك للامراء جميعهم ومما جاء فيه (رأي ألاّ ينفرد عنهم بنعمة ، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ ، وبعزائمهم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه ، ويبق للولد منهم وولد الولد ، ما يدوم الى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الابناء في نعمته ، كما عاش الآباء ، وخير الاحسان ما شمل وأحسنه ما خلد ، فخرج الأمر العالي لا زال يشمل الأعقاب والذراري ، وينير إنارة الأنجم الدراري أن يملك امراؤه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكتوب يسطرون ، ما يعيّن من البلاد والضياع ، على ما يشرح ويبين من الأوضاع)[٣] . فاذا ناقشنا ما ورد في النصوص السابقة رأينا أن الظاهر بيبرس كافأ امراءه بمنحهم هذه القرى في فلسطين وشرقي الاردن (إقطاعات تمليك) ، وكان من حق هذه الاقطاعات الانتقال الى الورثة بعد الموت ، ويختلف هذا النوع من الاقطاع عن الاقطاع العسكري أو الحربي المملوكي الذي كان أكثر انتشاراً .

هذا النمط من الاقطاع الذي وزعه الظاهر بيبرس كان متأثراً بالنظم الاقطاعية السلجوقية والايوبية والفرنجية في فلسطين وبلاد الشام عامة ، اذ جعلت من الاقطاعيين حكاماً وراثيين في مقاطعاتهم . وقد كافح السلاطين المماليك فيما بعد كي يجعلوا من مالكي الاقطاعات أكثر اعتماداً على السلطة المركزية في القاهرة ، ولكي يعملوا على انهاء هذا النظام قاموا (بالروك) ، وهو تقسيم البلاد بين السلطان والاقطاعيين من الامراء[٤] ، وبموجب هذا الروك أخذ الاقطاعيون إقطاعات تحتوي على أجزاء متفرقة في أماكن

---

(١) مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد ، ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) شافع بن علي ، حسن المناقب السرية ، ص ٩٤ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٤) Cohen & Lewis, op. cit., p. 23.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متعددة[١] ، ففي السابق كان الاقطاعي يعطي من قرية الى عشر قرى ، وبعد سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) صار يعطي حصصاً أو أجزاء من قرى مختلفة أو حصصاً صغيرة لعدة قرى متباعدة بدلاً من حصة كبيرة في قرية واحدة[٢] . وكان هدف السلطات المملوكية من ذلك الحد من نفوذ الامراء الاقطاعيين والتقليل من قوتهم ، ليصبح الامراء غرباء في تلك الاماكن . وعبر أبو المحاسن عن وجهة النظر هذه المتمثلة في ازدياد نفوذ الامراء بأن الناصر محمد بن قلاوون أخذ أخباز هؤلاء الامراء وخشي الفتنة[٣] ، اذ كان خبز الواحد منهم يتراوح ما بين ألف مثقال الى ٣٠٠ مثقال من الذهب سنوياً[٤] ، لذا عهد الى الامير سنجر الجاولي في سنة ٧١٣هـ (١٣١٣ م) بعمل الروك في البلاد الشامية ، أما في مصر فراكها سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م)[٥] وأعاد توزيع الأراضي بين الامراء الاقطاعيين .

وفي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، أصبحت الاراضي المزرعة مملوكة تمليكاً جماعياً ، وانتشر هذا النوع من التمليك في جميع أنحاء بلاد الشام ، ففي وقت اقتسام الأراضي السنوي ، توزع أراضي القرية بين رجال القبيلة طبقاً لعدد ماشيتهم التي تقوم بالأعمال الزراعية ، وهو ما كان يعبر عنه بـ (الفدان) فكل يأخذ أرضاً بمقدار ما لديه من هذه الحيوانات . أما الفلاحون الذين لا يملكون الماشية فيصبحون تلقائياً غير مالكين (الفلاحون البطالون)[٦] .

وكان الفلاحون يدفعون الضريبة من المحصول ، وما تبقى لديهم كانوا يقومون ببيعه بأنفسهم ، فهم دوماً بحاجة الى أصناف أخرى ليست من انتاجهم ، لذا يبيعون الفائض من انتاجهم ليحصلوا على حاجاتهم من تلك الأصناف . وفي العادة كان الفلاح يحتفظ ١٠ ٪ من المحصول للبذار ، ويحتفظ لطعام كل فرد ١٥٠ ـــ ٢٠٠ كغم من القمح سنوياً ، وما زاد على ذلك يخصص للبيع . ويحدث هذا في القرى الواقعة في السهول ،

---

(١) Cohen & Lewis, op. cit., p. 25.

(٢) Poliak, Feudalim in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, London, 1939, p. 19.

(٣) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ .

(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٤٢ .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص ٣٦ ، ٤٢ .

(٦) Cohen & Lewis, op. cit., p. 69.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المناطق الجبلية المرتفعة في الكرك ومؤاب وجبال نابلس والقدس فانتاجها من القمح قليل ، لذا يحدث تبادل إقليمي في المنتجات بين المناطق ، بطريقة مباشرة أو عن طريق الأسواق الموجودة في المدن كالكرك والقدس ونابلس والرملة والخليل وعمان وغيرها[١] .

وفي العصر الصليبي بلغ عدد قرىمنطقة القدس ١٠٤ قرى ، أما منطقة نابلس فكان عدد قراها ٩٠ قرية ، وأشغلت قرى بيت المقدس مساحة ٢٠٠٠ كم٢ ، أما قرى نابلس فأشغلت مساحة ١٥٠٠ كم٢ ، فمعدل مساحة القرية في المقدس ٢٤,٠٠٠ دونم أما في نابلس فكان ١٦,٠٠٠ دونم[٢] ، ولكن عدد القرى إرتفع في العصر المملوكي في كل من القدس ونابلس ، فوجد في منطقة نابلس ٣٠٠ قرية[٣] ، وبذا أصبح معدل مساحة القرية ٥٠٠٠ دونم .

أما محاصيل نيابة بيت المقدس الزراعية فهي : الزيتون والكروم والتين والفواكه والحبوب . وبلغ انتاج الزيت درجة كبيرة حتى أن بعض الاغنياء بلغ انتاجهم من الزيت ٥٠,٠٠٠ مَنّ[٤] ، أي ما يعادل ٤٠٩٥٠ كغم ، ولكثرته كانوا يحتفظون به في الصهاريج والخوابي[٥] . أما في نابلس فبلغ متحصل السلطان في بعض السنوات ١٤٠٠ قنطار ، كان السلطان يفرضه على التجار في بيت المقدس والخليل والرملة بخمسة عشر ديناراً ذهباً للقنطار الواحد ، أي أكثر من ثمنه بستة دنانير ، وكان ذلك يسبب خسارة كبيرة للتجار . وفي بعض الأعوام يأتي أمير كبير من القاهرة خصيصاً ليفرض الزيت على الأهالي المسلمين والنصارى واليهود بطريقة تعسفية تؤذيهم وتظلمهم[٦] .

وكان زيت الزيتون والصابون المستخرج منه في كل من القدس ونابلس يصدر الى البلدان المجاورة : الشام ومصر والحجاز ، والى أطراف العالم[٧] . أما متحصل السلطان

---

(١) Hütteroth, Historical Geography of Palestine. 1977. pp. 108-110.

(٢) Benvenisti. op. cit., p. 214.

(٣) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤م ، ص ٤٦ .

(٤) المَنّ : في الشام هو المن الشرعي وزنه ٢٦٠ درهماً ويعادل ٨١٩ غم .
(فالتر هنتش ، ص ٥٨) .
و ٥٠,٠٠٠ مَنّ تعادل ٢٧٣٠ تنكة في وقتنا الحاضر .

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ ، لي سترانج ، ص ٩٩ .

(٦) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ .

(٧) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٦ ، لي سترانج ، ص ٢٨٧ ، ٤٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الغلال المنتج في نيابة بيت المقدس ، فكان ينعم قسماً منه على أوقاف المسجد الأقصى والصخرة ، ففي سنة ٨٦٥هـ (١٤٦٠م) أنعم السلطان الظاهر خشقدم على الوقف بستين غرارة من القمح قيمتها ٨٤٠ ديناراً[١] .

أما سكان القرى فكانوا من الفلاحين المسلمين والنصارى[٢] ، وقطنت القبائل العربية منطقة القدس ونابلس ، فأقامت قبائل بني زيد وجرم والعايد في منطقة بيت المقدس والرملة وغزة[٣] . أما منطقة جبل نابلس فكان لها شيخ سمي (شيخ جبل نابلس) ، كانت له الكلمة الأولى في منطقته ، وأمره نافذ لدى القبائل العربية هناك ، وحظي بتأييد السلطان وانعاماته ، وكان يتقلد هذه المشيخة بأمر من السلطان في القاهرة[٤] . أما علاقات السلطة الحاكمة مع القبائل العربية فتختلف من فترة الى أخرى ، فكثيراً ما كان الخلاف يدب بين نائب السلطنة بالقدس والقبائل العربية ، ممايؤدي الى إفساد الطرق وأرجاف في المدينة المقدسة . ففي سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) هاجمت القبائل العربية بيت المقدس ودخلوا المسجد الأقصى ، فهرب النائب بين أيديهم ، فكسروا باب السجن وأخرجوا من به من المساجين ، وقتل العديد من الطرفين ، وحصل النهب في أسواق بيت المقدس[٥] .

وكان الفلاحون يعانون من الظلم الذي أوجده النظام الاقطاعي العسكري أو الحربي المملوكي ، فلم يكن للفلاح الحق في مغادرة الأرض التي يعمل فيها الا بعد مرور ثلاث سنوات ، وان حدث وغادرها يعاد إليها بالقوة[٦] . بالاضافة الى الالتزامات التي فرضها النظام الاقطاعي نفسه ، وعانى الفلاحون الكثير من ظلم العربان ، الذين كانوا يفرضون

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٧ ، ٨ ، Benvenisti, op. cit., p. 215.

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٤٦ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٣٥ .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

(٦) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٣٤ ، حيث يقول : (وقد جرت عادة الشام بأن من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة) .
وللباحث ، القرية في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي ، بحث قدم للمؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره ، اكسفورد ، ١٩٨٠م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأموال عليهم فيسببون المعاناة الشديدة إليهم[١] . أضف الى ذلك ما كانت تسببه السلطة الحاكمة للفلاحين والأهالي ، فكثيراً ما كان يعمد نائب القدس الى جمع الأموال من الفلاحين بالقوة ، ففي سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) كان النائب في القدس يجبي من فلاحي الضياع نحواً من أربعة آلاف دينار ، وبسبب هذه الجباية خربت معاملة القدس ، فأمر السلطان المظفر أحمد بن المؤيد شيخ بمنع ذلك (ونادى بإبطال هذه المغارم ونقشه على حجر بالمسجد الأقصى)[٢] . وفي نهاية القرن التاسع الهجري كان السلاطين يجندون الرجال من جبل نابلس والقدس ويرسلونهم في التجاريد الذاهبة الى قتال بايزيد خان ابن عثمان [٣] ، كل هذه الأمور مجتمعة ، وانتشار الاوبئة والطاعون أدى الى خراب الريف ، ليس في فلسطين فحسب ، بل في معظم بلاد الشام . ففي العصر العثماني وصف العديد من القرى ب (خراب وخالل)[٤] ، وذكرت التقارير أن منطقة طرابلس كانت تحتوي على ثلاث آلاف قرية ، ولم يبق من هذه القرى مأهولاً في القرن السادس عشر الميلادي سوى ٨٠٠ قرية ، وتحول الباقي الى مزارع وخرب صغيرة غير مأهولة بالسكان[٥] .

وأتبع الفلاح الطرق الزراعية التقليدية ، فالمحراث الفلسطيني في العصر الوسيط يشبه المحراث الذي يستخدمه معظم الفلاحين في الوقت الحاضر ، فيتكون من هيكل خشبي ينتهي بسكينة حديدية حادة لقلب الجزء العلوي من التربة واعدادها للبذار ، ويجر عادة بواسطة الثور أو الحصان[٦] .

وكان الفلاح الفلسطيني يقيس أرضه بالفدان ، وتعني الكمية من الأرض التي يمكن زراعتها بواسطة عجلة محراث في فصل زراعي واحد . وقد استعمل الفلاحون في منطقة

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨٤ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٥ ، ٣٤٧ .

(٤) Hütteroth, op. cit., p. 26.

(٥) Cohen & Lewis, op. cit., p. 24.

(٦) Prawer, op. cit., p. 370.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس في العصر الصليبي فدانا يعادل نصف الفدان العربي [١] . وكان الفدان العربي يعادل ٤٠٠ قصبة مربعة وتساوي ٦٣٦٨ متراً مربعاً[٢] .

وغطيت جبال القدس ونابلس والخليل بالأشجار المختلفة ، كالسرو والسنديان ، والخروب ، والسماق ، والزيتون ، وأشجار الفواكه كالتفاح والخوخ واللوز والجوز والتين والكرمة[٣] . أما سهولها وأوديتها فانتجت البرتقال والسفرجل والرمان ، أما الاغوار التابعة للقدس ، فاشتهرت بالسكر ، والموز والنخيل . أما غلاتها فأهمها الحنطة والشعير والسمسم والذرة والخضروات[٤] . واستخرجوا من الكروم الزبيب والخمور التي صنعها السكان النصارى في قرى القدس ونابلس ، أما التين فاستخرجوا منه القطين . واشتهرت نيابة بيت المقدس بالعسل والجبن[٥] ، — وجبن الخليل نقل الى مصر والعقبة لبيعه الى الحجاج — مما يدل على وفرة المواشي في النيابة .

---

(١) Ibid., p. 271.

(٢) فالترهنتش ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٩٨ .

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، القسم الخاص بالشام ، ص ٩ .

(٤) Benvenisti, op. cit., p. 217.
لي سترانج ، ص ٩٧ — ٩٩ ، ٢٥٧ ، ٤٨٦ .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٨٤ ، لي سترانج ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)
التجارة الداخلية والخارجية

أ ـــ التجارة الداخلية :

اشتهر بيت المقدس بأسواقه الكثيرة وأبنيته العالية ، وصناعاته العديدة[١] ، وكانت أسواقه زاخرة بصنوف السلع المختلفة ، منها ثلاث قصبات (قيل أنه لم يكن بغالب البلاد نظيرها)[٢] . ومن المعروف أن أسواق المدن الإسلامية في العصور الوسطى كانت متخصصة ، فكل سوق إختص بسلعة معينة ، فوجد في بيت المقدس : سوق القطانين ويجاور باب المسجد الأقصى من الجهة الغربية ـــ لا مثيل له في كثير من البلاد ـــ ثم هناك أسواق ثلاثة تقع قرب باب الخليل تمتد من الشمال الى الجنوب ، وتتصل معاً بواسطة بعض المنافذ ، وهي مسقفة وفي أعلاها فتحات لدخول النور والشمس ، فالغربي منها هو سوق العطارين ، وكان صلاح الدين قد وقف هذا السوق على المدرسة الصلاحية ، ثم سوق الخضر ، أما الثالث فهو سوق القماش وقد وقفها صلاح الدين الأيوبي على مصالح المسجد الأقصى[٣] . وذكرت وثائق بيت المقدس عن وجود أسواق أخرى لم تذكرها المصادر منها : (السوق الأسفل)[٤] ، (وسوق التجار)[٥] ، (وسوق الليل)[٦] . ثم هناك السوق الكبير الذي يبدأ من باب السلسلة الى باب الخليل ، أي أنه يبدأ من الحرم الى قلعة بيت المقدس ، وهذه الظاهرة نجدها في بعض المدن الشامية حيث يوجد ما يسمى (السوق الكبير) ، وذكر ابن جبير هذا السوق في دمشق وكان يمتد من باب الجابية الى باب شرقي[٧] . ويتفرع من السوق الكبير في بيت

---

(١) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٤٦ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٢ ، لي سترانج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ٩٧ .

(٢) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .

(٣) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٤) وثيقة رقم ٥٣ سنة ٧٧٨ هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٥) وثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨ هـ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٦) وثيقة وقف رقم ٧٧ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدس عدة أسواق هي : سوق الصاغة ، وسوق القشاش ، وسوق المبيضين ، وسوق خان الفحم ، وسوق الطباخين ، وسوق الحريرية ، وسوق الزيت الواقع بجوار باب الناظر ، ثم سوق الفخر (نسبة الى فخر الدين صاحب المدرسة الفخرية) وبه المصابن التي يصنع فيها الصابون[١] . وسويقة باب حطة[٢] ، والملاحظ أن هذه التسمية موجودة في بعض المدن الإسلامية الأخرى مثل سويقة مكة .

ووجدت الأسواق المتخصصة في كل من: الرملة ، ونابلس ، والخليل[٣] ، بالإضافة الى القياسر أو القيساريات[٤] Caesarea ، منها قيسارية النصارى في بيت المقدس[٥]. والقياسر أبنية تقوم بمهمة الأسواق بها حوانيت تؤجر للتجار متخصصة للبيع والشراء ويخزن التجار بضائعهم فيها[٦] . وكان لهذه القيساريات أبواب كبيرة من الحديد تغلق ليلاً بواسطة ضبّة عريضة من الحديد[٧] . ويراقب المحتسب هذه الأسواق ويحكم السيطرة عليها خوفاً من الاحتكار والغش والتدليس . وكان لطائفة التجار رئيس يسمى (رئيس طائفة التجار)[٨] ، يرعى مصالح التجار في المدينة وفي أحيان يسمى (شيخ التجار) ، ويكون من أثرياء تجار المدينة . وقد أطلق على طبقة التجار في العشر المملوكي (بياض العامة)[٩] ، وذكرت المصادر عن وجود (عريف) لكل سوق من أسواق بيت المقدس[١٠].

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ — ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤١ .

(٣) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٦ ، ٥٧ . وأنظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، (القسم الخاص بالشام) ص ٤ .

(٤) وثيقة رقم ٥٠ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٥) Burgoyne & Abul Hajj, Twenty Four Medieval Arabic Inscription from Jerusalem, Levant, vol. XI 1979, p. 123.

(٦) Goitein, A Mediterranean Society, Economic Foundations, U.S.A. 1967, vol. I, p. 194. وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٠ .

(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦١ .

(٨) Goitein, op. cit., p. 192.

(٩) للباحث ، تاريخ شرقي الأردن ، القسم الحضاري ، ص ١٠٤ .

(١٠) وثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨هـ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحيط بمدينة بيت المقدس منطقة خصبة واسعة ، تقوم بتزويدها بكل حاجاتها من الفواكه والحبوب والزيوت ، مثلها في ذلك مثل دمشق التي كانت تعتمد على معظم منتجات الأراضي الشامية كالزيت من نابلس ، والصابون من نابلس والقدس وسرمين[١] ، والتين من حلب والأرز من بانياس والحليب من بعلبك ، والسكر من الأغوار ، والفحم من عجلون ، والرمان من الصلت[٢] . أما القدس فكان القمح ينقل إليها من الرملة والسهل الساحلي ، والزيت من نابلس والخليل ، والتين والرمان وزيت السيرج (السمسم) والبطيخ والعنب الدرّي والعينوني من الرملة ونابلس وشرقي الأردن والقرى المحيطة بالقدس ، أما الأرز والحصر فمن بيسان ، والموز والسكر والنيل فمن اريحا والأغوار[٣] . وهكذا فقد كانت هناك حركة تجارية داخلية أو تبادل إقليمي بين بيت المقدس والمناطق المحيطة به ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو بواسطة الأسواق الموجودة في المدن .

ووجد في مدينة بيت المقدس (عرصة للغلال) وتقع قرب باب الخليل[٤] ، وهي ساحة أو ميدان واسع ، كان الفلاحون والقرويون يجلبون إليها غلاتهم الزراعية لبيعها على التجار والأهالي . وكانت الأسواق الأسبوعية التي تقام في المدينة فرصة للقرويين ورجال القبائل للحصول على ما يحتاجون اليه من سلع ، مقابل مقايضتهم لمنتوجاتهم من الحبوب والفواكه والاجبان والبسط والسجاد ، والزيت والتين المجفف واللوز والجوز وغيره من السلع المختلفة[٥] .

---

(١) سرمين : بلدة مشهورة تقع في منطقة حلب وتشتهر بأشجار الزيتون وصناعة الصابون الذي صدر الى دمشق والقاهرة ، وكان يصنع فيها نوع من الصابون المعطر متعدد الالوان يستعمل لغسل الوجوه والأيدي . (ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٦٣) .

(٢) Lapidus, Muslim Cities in the Late Middle ages, U.S.A. 1967, p. 17.
أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٢٨ .

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق (القسم الخاص بالشام) ص ٤ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٧ .
Hütteroth, Historical Geography of Palestine, p. 83.
Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, pp. 361-365.

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٩٩ ،
ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩٧ ،
لي سترانج ، ص ٩٨ ، ٤٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنشط التجارة الداخلية في بيت المقدس والرملة وبيت لحم والخليل في المواسم ، ففي موسم الحج من كل عام ، يحتشد في بيت المقدس أعداد كبيرة من مسلمي بلاد الشام وغيرها للاحتفال بالحج وزيارة المسجد الأقصى والصخرة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث يبلغ عددهم في بعض السنين عشرين ألفاً[١] . وكان للخليل موسم خاص لزيارة الحرم الابراهيمي ، لذا أقام المماليك للفقراء من هؤلاء الزوار والمسافرين (مضيفاً) يوزع الخبز والطعام عليهم مجاناً[٢] . ونتيجة للعدد الهائل من الزوار تنشط الحركة التجارية في أسواق القدس والخليل ، ويعم الخير عليهما وعلى المنطقة المجاورة فيهرع الاهالي للأتجار مع وفود الزائرين .

ولم يقتصر الأمر على هذا الموسم (السياحة الداخلية) ، بل يجتمع في بيت المقدس أعداد أخرى كبيرة من النصارى واليهود لزيارة أماكنهم المقدسة ، وللاحتفال بمواسمهم الدينية[٣] . فتقام لهم الأسواق الخاصة في يفا والرملة والقدس وبيت لحم تعود بالنفع على تجار تلك المدن والمتسببين من أهالي المناطق المحيطة . وكان الحجاج النصارى يأتون من انحاء مختلفة من العالم لزيارة كنيسة القيامة فمنهم : الشاميون والاوربيون ، والمصريون ، والاحباش ، حتى ان الاحباش بلغوا في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ثلاثة آلاف زائر[٤] ، وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) بلغوا ٨٠٠ زائر[٥] .

ويذكر الرحالة فيلكس فابري الذي زار بيت المقدس سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) أن مراكب الحجاج الاوربيين كانت ترسو في ميناء يافا ، ويكون في استقبالهم مندوبون عن نائب القدس ونائب غزة وكاشف الرملة ورئيس دير جبل صهيون ، وقد هيأوا لهم كل الترتيبات لحمايتهم وتسهيل مهمتهم في الأراضي المقدسة . ولاحتياطات الأمن كانت السلطات المملوكية تقوم بتفتيشهم جيداً ، ثم يسجلون المعلومات الخاصة عن كل زائر ، ويدونون ذلك في سجل خاص كأسم الحاج واسم أبيه الى غير ذلك من أمور تهمهم .

---

(١) ناصر خسرو ، المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٥٥ ، المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٧ ، ٩٢٨ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .

(٤) ابن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ج ١ ص ٣٩ .

(٥) ابن طولون ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وباعتقادي أن هذا الاجراء كان ضرورياً لدواعي الأمن وخوفاً من أن يتسلل الفرنج الى المدينة المقدسة ويعيشوا فيها فساداً ، لأن ذلك الأمل ظل يراودهم طيلة الحكم المملوكي . ففي سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) وصل الى يافا أربع قطع بحرية عليها ٧٠٠ من الفرنج فأسروا عدداً من المسلمين ، واستولوا على مركب قادم من مصر فيه تجارة للسلطان [١] . وفي سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٣م) تمكن عدد من الفرنج (الكيتلان) من التسلل الى داخل المدينة المقدسة ، فطاردتهم السلطات المملوكية وأسرت منهم نحو مائة شخص . ولكي يسهل المماليك تنقل الحجاج من يافا الى القدس ، قاموا في سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) بتوسيع الطريق وإزالة ما به من الاوعار ، وزادوا في سعته (بحيث يمر فيه عشرة فرسان متواكبين) [٢] . أضف الى ذلك أن المماليك سمحوا للنصارى بناء كنيسة بيت لحم فوق مهد المسيح عليه السلام ، وجمعوا الأموال لبنائها من جميع أنحاء العالم المسيحي [٣] .

وكانت الأسواق تقام في يافا خدمة لهؤلاء الحجاج ، فيحضر التجار من القدس والرملة يحملون معهم السلع المختلفة من بلسم ومسك وصابون ، وحجارة كريمة ، وقماش موصلي ، وأنواع الأطعمة والأشربة والفواكه المختلفة . ثم يواصل الحجاج سيرهم الى القدس فينزلوا في الرملة ويقيموا فيها في (مضيف) أعد لاستقبالهم . وتقام لهم في الرملة سوق موسمية كبيرة فيها الأطعمة والفواكه كالتفاح والتين والبرتقال والبطيخ واللوز والعسل والتين المجفف والسكر فيشتري هؤلاء الحجاج ما يحتاجونه من هذه السلع ، ثم يواصلون سيرهم الى القدس .

وقد خصصت الدولة لهؤلاء الحجاج تراجمة (ادلاء سياحيون) يساعدونهم على زيارة الأماكن المقدسة وحمايتهم وحراستهم واستئجار البيوت اللازمة لهم في القدس . فتعم الفائدة معظم سكان المدينة وتجارها ، وكان الادلاء من المسلمين والنصارى ويطلق عليهم

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .
المقريزي ، السلوك ، ج ق ٢ ص ٦٣٧ .
وأنظر المصدر نفسه ج ٤ ق ٢ ص ٩٢٨ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(المكاريون) ومفردها (مكاري)[١] . الا أن قسماً من هؤلاء الحجاج كان يفضل الإقامة في دير جبل صهيون أو نزل القديس يوحنا . ووجد تراجمة خاصون بالحجاج اليهود ، ويشترط في هؤلاء التراجمة معرفة اللغات الاوروبية وفي المقابل فإن رئيس التراجمة يتقاضى أجرة من الحجاج له ولمساعديه[٢] . وزيادة في سلامة هؤلاء الحجاج أمنت الدولة لهم العلاج في البيمارستان الصلاحي فكانوا يستوفون من كل حاج (بنيان فينيسيان) يحصل مرة واحدة (كتأمين صحي) مقابل الخدمات الصحية التي يقدمها البيمارستان . ولا شروط على المدة التي يقيمها المريض في البيمارستان فله حق الإقامة من يوم الى سنة كاملة ولا يحصل منه أي مبلغ إضافي مهما كانت المدة[٣] . ومن هنا يظهر لنا مقدار العناية التي كان يوليها المماليك للحجاج أو (السياح) ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار أن الدولة المملوكية هي أول دولة شجعت السياحة وأصدرت المنشورات الدعائية السياحية لتشجيع زيارة بلادهم ، ويعتبر السلطان قلاوون أول من أصدر مثل هذه المنشورات السياحية ، وبذا سبق عصره بمئات السنين[٤] ، كما أن نظام التأمين الصحي على السياح سبقوا به غيرهم من الأمم بقرون عديدة .

وأقام المماليك الخانات في المدن وعلى الطرق الرئيسية لخدمة التجارة الداخلية والسياحية وحركة التنقل في الداخل ، من ذلك الخان الذي انشأه الأمير طاجار الدوادار في جنين وبنى فيه دكاكين وحماماً وحوضاً للسباحة[٥] . والخانات أو الفنادق منشآت هامة واكبت حركة التجارة المملوكية التي كانت سبباً في أن تتمتع بلاد مصر والشام بدرجة كبيرة من الازدهار والثراء[٦] ، نذكر من تلك الخانات :

---

(١) ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٢٠ .

(٢) نقولا زيادة ، فيلكس فابري في فلسطين ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م .

محمود زايد ، دراسة للتقسيمات الادارية في فلسطين من خلال رحلة دي لابروكيبه ١٤٣٢م ، بحث القي في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ .

(٣) Hume, Medical Work of the Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore, 1940, p. 18.

(٤) أنظر نص المنشور السياحي في : ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٢٢٦ — ٢٣٧ . والقلقشندي ، صبح الاعشى ج ١٣ ص ٣٤٠ — ٣٤٢ .

(٥) مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد ، ص ٨٠ .

(٦) Lapidus, Muslim Cities in the Later Middle ages, U.S.A. 1967, p. 16.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خان الظاهر بيبرس :

في سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) أمر الظاهر بيبرس انشاء خان للسبيل في بيت المقدس ، وفوض بناءه الى الامير جمال الدين محمد بن نهار ، وأقيم هذا الخان خارج أسوار القدس[١] ، وهناك لوحة تأسيسية من الرخام أثبت عليها الظاهر بيبرس انشاء هذا الخان ، وجدت هذه اللوحة اثناء ترميم قبة الصخرة سنة ١٩٦٠ م ويحتفظ بها المتحف الإسلامي في القدس وقد فقدت أجزاء من النقش بسبب تحطيم الرخامة الى جزئين أما النقش الباقي فهو :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله
٢ — مما أمر بانشاء هذا الخان المبارك ... وأيه الجسيم (؟)
٣ — مولانا السلطان الأعظم ... مالك رقاب الأمم ملك .
٤ — العرب والعجم والترك ... الملك الظاهر .
٥ — ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي ... قسيم أمير المؤمنين
٦ — ضاعف الله اقتداره ... وأعز نصره .
٧ — وكتب في آخر ... سنة اثنتين وستين وستمائة
٨ — والحمدلله وحده ... واله وسلم[٢] .

وبعد تمام بنائه وقف عليه عدة قرى ببلاد الشام والقدس منها : قيراط ونصف في قرية الطرة الواقعة قرب مدينة أربد شمالي الأردن ، وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصري ، ونصف قرية لفتا على بعد ٣كم شمال غربي القدس . ويصرف ريع هذا الوقف في ثمن خبز ونعال لمن يرد الى القدس من المسافرين المشاة . ثم بنى طاحوناً وفرناً برسم هذا الخان كي يقوم بطحن الدقيق وخبز الأرغفة ، وجعل كل ذلك سبيلاً[٣] .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .

(٢) Levant, vol. XI, 1979, p. 126.
ومن الملاحظ ان العبارة (ركن الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين) نجدها في معظم نقوش الظاهر بيبرس كما في مقام أبي عبيدة وقلعة الكرك . أنظر : للباحث (تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٨٨ ، ٨٩) .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٢١ ،
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٢١ . وللباحث ، امارة الكرك الايوبية ، ص ٣٢١ .
ويذكر ابن شداد أن الوقف كان ثلاثة قراريط بالطرة من أعمال دمشق وثلث وربع قرية المشارفة ، ونصف قرية من أعمار القدس . (الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونقل اليه من القاهرة باب دهليز القصر الموصل الى البيمارستان المعروف بباب العيد[١] ، وأثبت هذا الوقف على قطعة رخامية يوجد جزء منها في المتحف الإسلامي بالقدس والنص الباقي من النقش كما يلي :

١ — (هذا) الخان المبارك أربعة عشر قراطاً من جميع الضيعة .
٢ — (من) أعمال بصري والحصة الثانية والنصف من لفتا من ضياع القدس .
٣ — ثلاثة أسهم وثلث ثمن عشر سهم من أربعة وعشرين سهماً .
٤ — (لأجل) إطعام الواردين من الفقر (أ) والمساكين تقبل الله منه وضاعف حسناته[٢] .

وقد اندثرت معالم هذا الخان ، ولكن البعثة الفرنسية التي حفرت في الجزء الشمالي الغربي من زاوية المدينة القديمة تمكنت من العثور على أساسات هذا الخان سنة ١٩١٢ م[٣] .

ومن الخانات الأخرى الموجودة في بيت المقدس نذكر : خان الفحم ، وخان المصرف ويقعان في الشارع الأعظم الواصل بين باب السلسلة وباب الخليل ، ثم خان الجبيلي الواقع في خط مرزبان[٤] . وخان تنكز بن عبدالله نائب دمشق ويقع بين حمام الشفا وحمام العين في سوق القطانين بناه سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) . وذكرت وثائق بيت المقدس عن وجود (خان العناية) الواقع بالقرب من باب حطة ، وكان وقفاً على المدرسة الصلاحية بالقدس[٥] .

وكانت المعاملات التجارية الداخلية تتم عن طريق المقايضة أو بواسطة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية المسكوكة في أنحاء مختلفة من دولة المماليك .

---

(١) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٣٧ ،
المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .
(٢) هذا الحجر موجود في المتحف الاسلامي بالقدس تحت رقم زم ١٤ .
وكان الظاهر بيبرس قد بنى مقام أبي عبيدة بغور الاردن ووقف عليه الوقوف وأثبت ذلك في نقش كتابي .
(راجع للباحث : تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٨٨) .
(٣) Levant, vol. XI, p. 126.
(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) وثيقة رقم ٤٣ سنة ٧٨٥ هـ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب ـــ التجارة الخارجية :

تمتعت بلاد الشام في العصر المملوكي بفترة متألقة من تاريخها الوسيط ، وبلغت مصر والشام درجة من الازدهار والثراء لا نظير لها ، بسبب النشاط التجاري الذي بلغ أوج تقدمه وإزدهاره بين مصر والشام وبلاد الرافدين والجزيرة العربية . لذا قام المماليك ببناء الجسور وتعبيد الطرق وبناء الخانات أو الفنادق على الدروب والطرق خدمة للقوافل التجارية والمسافرين . وكان المسافرون يأوون الى هذه الخانات فيجدون مأوى لهم ولدوابهم ، وبخارج كل خان وجدت ساقية للسبيل أو بركة وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته[١] . وقد نشر المماليك الامن في ربوع تلك الطرق حتى أن المرأة كانت (تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء)[٢] .

أما حركة التبادل التجاري فقد نشطت بين جميع الاقطار ، فمنتوجات القدس ونابلس والخليل والكرك والشوبك كالزيت والصابون والخروب والبسط واللوز والجوز والجبن والفواكه ، والمصنوعات اليدوية من فضية وخشبية صدرت الى القاهرة[٣] . ومن دمشق نفسها كان ينقل الزجاج والسيراميك والمنسوجات والخزف والسجاد وغيرها من الصناعات ، وكانت هذه تصدر عن طريق الموانئ الشامية والفلسطينية كطرابلس وصيدا ، وعكا ، ويافا ، وغزة . أو ترسل براً عبر فلسطين وسيناء الى قطيا على الحدود المصرية ففيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ، فيدفع التجار المكوس على بضائعهم بين ٥ ـــ ١٠ ٪ وكان متحصل قطياً ألف دينار من الذهب يومياً[٤] . ويطلب من المسافرين إبراز تصاريح للدخول الى مصر والخروج منها ، ووجد للتجار الشاميين والعراقيين في القاهرة والاسكندرية القياسر الخاصة والوكالات لخزن بضائعهم واقامتهم فيها[٥] .

---

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ ، وسميت هذه الخانات أو الفنادق : Caravanserais, ، ويطلق عليها أحياناً مخازن التجار. أنظر : Gotein, op. cit., p. 187.

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج ١ ص ٣٦٧ .

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٣٠ .
وثيقة رقم ٧٦ من وثائق المتحف الإسلامي بالقدس .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ .

(٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٥٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .
Lapidus, Muslim Cities, p. 18.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخدم الساحل الشامي حركة التجارة الدولية منذ عصور سحيقة في القدم ، فكانت طرق التجارة العالمية عبر الخليج العربي والبحر الاحمر تنتهي في موانئه . وبهذا سيطر العرب في العصر العباس على التجارة الدولية وفرضوا الاسعار التي يريدونها على السلع المصدرة الى اوروبا[١] . ثم ان الساحل الشامي والفلسطيني اصبح في العصر الصليبي والمملوكي باب الشرق على الغرب ، وكانت لفلسطين علاقات مباشرة مع اوروبا . وقد تزعم هذه الحركة تجار دويلات المدن الايطالية والاوروبية ، فينيسيا ، وبيزا ، وجنوا ، وفلورنسا ، ومرسيليا ، وبرشلونه ، وكان لهذه المدن وكالات في معظم المدن الهامة في فلسطين وسوريا ومصر[٢] . وامتد نشاطهم التجاري الى المدن الداخلية فوجدت الوكالات أو (دار الطعم) في دمشق ، وعجلون في شرقي الاردن ، للعناية بالتجار الاجانب وتجارتهم[٣] . ووجد في بيت المقدس وكالة خصصت للتجار الاجانب[٤] ، بالاضافة الى الخانات والقياسر التي كانت تؤجر للتجار وتباع فيها السلع المختلفة . وخصصت فيها احياء وقنصليات لرعايا الدويلات الايطالية ، فالخليفة الفاطمي المستنصر بالله سمح لتجار أما لفي بين سنتي ١٠٤٨ و ١٠٧٠ م بناء مقر لهم في القدس يحتوي على كنيسة ومكان لسكني مواطنيهم من التجار والحجاج[٥] . واطلق بعضهم على تلك الابنية الخاصة (الفنادق) Fondouk ، ووجدت في معظم المدن الشامية والمصرية مثل : عكا ، وطرابلس ، ويافا ، وصور ، وبيروت ، ودمشق ، وعجلون . والى جانب تلك الفنادق وجد القناصل الذين يرعون مصالح بلادهم التجارية والسياسية لدى دولة المماليك[٦] ، ففي سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) اقيمت قنصلية للبنادقة في بيت المقدس في

---

(١) Thompson, An Economic and Social History of the Middle Ages, London, 1928, p. 338.

(٢) النويري الاسكندراني ، الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٥٦ . ويذكر انه وجد في الاسكندرية فندق الكيتلانيين ، وفندق الجنويين ، وفندق الموزة ، وفندق المرسيليين (ج ٢ ص ١٧١) .
Rey, Les Colonies Franques de Syrie, Aux XII et XIII Siècles, Paris, 1883, p. 191.
Prawer, op. cit., p. 397.

(٣) النويري ، نهاية الارب ، ج ٣١ لوحة ٩١ (مخطوط) . وللباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٧ ، ٢٤١ .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٥) Hume, op. cit., p. 4.

(٦) Rey, Les Colonies, pp. 70, 73, 74.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهد السلطان المؤيد سيف الدين ، اما جنوه فقد حصلت على حق اقامة قنصلية في بيت المقدس سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) بموافقة من السلطان الاشرف برسباي[١] .

وكانت لبعض الشركات الايطالية فروع في أنحاء مختلفة من المدن والبلاد ، فالشركة الفلورنسية Bardi كان لها فروع عديدة في ايطاليا وخارجها . ففي الخارج وجدت فروعها في : برشلونه ، وقبرص ، وارغون ، والقسطنطينية ، والقدس ، ولندن ، ومرسيليا ، ونيس ، وباريس ، وتونس[٢] . ثم ان الوجود الاوروبي في بيت المقدس كان يتمثل في اعداد كبيرة من القسوس والرهبان في كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والاديرة[٣] . وكان لبيت المقدس علاقاته التجارية مع المناطق المجاورة ، فالصناعات من كل انحاء المدن الشامية والعراقية والفلسطينية والارمينية والمصرية كانت تأتي الى القدس والموانيء الفلسطينية ، بالاضافة الى الصناعات والسلع الخاصة بالمدن الداخلية في فلسطين وشرقي الاردن وسوريا حيث يصدر قسم الى اوروبا عبر يافا وعكا[٤] .

وكانت سلع بيت المقدس ومنتوجاته تصدر الى الاسواق الخارجية ، فبعض هذه السلع كانت تصل الى اوروبا بواسطة الحجاج القادمين لزيارة الاماكن المقدسة ، حيث يقومون بشرائها ونقلها الى بلادهم بقصد الربح ، أو عن طريق تصديرها بواسطة الموانيء الفلسطينية كعكا ويافا — فقد وصفت يافا بأنها فرضة بيت المقدس على البحر[٥] — وتصل السلع الى القدس عن طريق القوافل التي كانت تنقلها من ايلة (العقبة) ميناء دمشق على البحر الاحمر ، ومنها الى الكرك ثم اريحا وبيت المقدس[٦] . نذكر من تلك السلع : التوابل والاحجار الكريمة والصمغ العربي ، القادمة من الهند والصين عبر البحر الاحمر والجنوب العربي[٧] ، والبلسم من اريحا ، والحمّر من البحر الميت ، والزيت والصابون من نابلس والقدس ، والنبيذ من القدس والخليل ، والنيل والقطن من وادي

---

(١) رشاد الامام ، مدينة القدس في العصر الوسيط ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٦م ، ص ٨٢ .

(٢) Sapori (Amande), The Italian Merchant in the Middle Ages, New York, 1970, p. 51.

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٣ .

(٤) Rey, Les Colonies, pp. 222-225.

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، القسم الخاص بالشام ، ص ٥ .

(٦) Rey, Les Colonies, pp. 202-203.

(٧) Ibid., p. 190.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاردن . والمسابح والقماش الدمقس والحرير من دمشق[١] ، والسكر من الاغوار والكرك والشوبك الذي وصف بأنه من اجود الاصناف . وكان السكر يصدر للاسواق الاوروبية على شكل عسل السكر ، أو بلورات أو مسحوق أو قطع كبيرة Loaf Sugar والمنسوجات الصوفية من الرملة ، وزيت السمسم وغيرها من السلع الاخرى[٢] . ومن المنشآت التي خدمت حركة التجارة الخارجية في بيت المقدس (الوكالة) .

دار الوكالة :

اقيمت الوكالات في معظم المدن الهامة في مصر والشام لخدمة التجارة الخارجية ، واطلق عليها في دمشق (دار الطعم)[٣] وسميت (مخزن التجار) . فالتاجر الذي لا يصحب تجارته ولم يرتبط بصديق تاجر يقوم بأعماله ، عليه خزن بضاعته لدى وكيل يهتم بتسويقها . فالوظيفة المزدوجة الخزن والتسويق هي من اختصاص (دار الوكالة) ، وان حدث وامتلك الوكيل دارا خاصة به فيطلق عليه (صاحب دار الوكالة)[٤] . وعلى ذلك فان وكيل التجار يقوم بمهمة الخازن للسلع (أو المودع لها) ، وهو المسؤول عن التجار الاجانب الذي لا يستطيعون الاشراف على اعمالها شخصيا[٥] . ويتقاضى وكيل التجار عمولة نظير خدماته التي يقدمها لزبائنه ، ويرتبط عادة بعلاقات مع القناصل الاوروبيين المقيمين في بعض المدن في مصر والشام[٦] . وجرت العادة ان تباع السلع القادمة من الخارج اما نقداً أو نسيئة ، فاذا احضر التاجر شيئاً من السلع كالثياب مثلا تسلمته السماسرة وباعته في النداء (الحراج) ، أو باعته على التجار نسيئة لاجل وبذلك يزداد

---

(١) Thompson, op. cit., p. 360.

(٢) Rey, Les Colonies, p. 190.
Prawer, op cit., pp. 394-395.

(٣) دار الطعم بدمشق ، وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، ويتولاها شخص يدعى (شاد دار الطعم) يقوم بجبي المكوس من التجار وولايتها من النائب) .
(القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨٧) .

(٤) Goitein, op. cit., p. 187.

(٥) Ibid., p. 192.

(٦) Ibid., p. 192.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمنها فينال صاحب السلعة ربحا آخر[١] ، ولكن المستهلك يدفع ثمنا اكثر لمثل هذه السلعة ، وكان السلاطين يمنعون مثل هذا البيع لان فيه زيادة للاسعار[٢] .

ووجد في بيت المقدس دار الوكالة التي وصفتها المصادر بأنها خان عظيم يباع فيه اصناف البضائع[٣]. الا ان بعض وثائق بيت المقدس نعتتها بـ (الوكالة المرعية) واطلقت على الطريق المؤدية اليها بـ (طريق الوكالة)[٤] . وتسمى دار الوكالة في الوقت الحاضر بـ (خان السلطان) . وكانت دار الوكالة وقفا على مصالح المسجد الاقصى ، ويذكر الحنبلي ان اجرتها السنوية بلغت اربعمائة دينار[٥] . وفي العادة وجد (شاد دار الوكالة) ، يعين هذا الموظف من قبل النائب في بيت المقدس ، ومهمته التحدث في استخراج المكوس من دار الوكالة ، وهذه الوظيفة كان يتولاها في دمشق امير عشرة أو مقدم حلقة ، وجندي [٦] ، وهناك ايضا (شاد دار الطعم) في مدينة عجلون[٧]. وقد جدد بناء دار الوكالة في القدس السلطان برقوق سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) واثبت ذلك على لوح رخامي ونقل برشيم نص ذلك النقش كما يلي :

> بسملة ... جدد هذه القيسارية المباركة وقف حرم القدس الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه بنيابة - مولانا ملك الامراء بيدمر كافل الممالك بالشام عز الله انصاره وانشاء الفقير الى الله تعالى السيفي اصيغان بلاط ناظر الحرمين الشريفين في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة[٨] .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ .

(٣) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٤) وثيقة وقف رقم ٦ تاريخ ٧٥٢ هـ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨٧ .

(٧) النويري ، نهاية الارب ، ج ٣١ لوحة ٩١ (مخطوط) وللباحث تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٧ .

(٨) Van Berchem, Corpus inscriptionum (Jerusalem), p. 300. ورد اسم بيدمر نائب الشام ، وهو سيف الدين بيدمر الخوارزمي ، تقلد عدة نيابات منها حلب ودمشق ، وفي سنة ٧٨٨ هـ القى السلطان برقوق القبض عليه ، أي في السنة التي جدد فيها دار الوكالة في القدس ، وعين بدلا منه الامير استقتمر المارديني ، وكان اذ ذاك يقيم في القدس بطالا ، حيث عزله السلطان في سنة ٧٨٤ هـ عن نيابة دمشق وعين بدله الامير بيدمر الخوارزمي ، الا ان استقتمر عزل عن نيابة دمشق سنة ٧٨٩ هـ بالامير الطنبغا الجوباني ، فأقام استقتمر في القدس حتى توفي سنة ٧٩١ هـ (المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦٠ ، ٦٨٧) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما زالت آثار وكالة بيت المقدس باقية للآن ، ويتوصل اليها عن طريق باب السلسلة بعد ان تتجه يمينا مسافة ٢٠٠ متر . ويحف بدار الوكالة من الغرب سوق الخواجات ، ثم يليه سوق العطارين ، ثم سوق الحدادين . أما من الشرق والشمال فيحف بها (طريق القرمي)[١] ، ومن الجنوب ممر يؤدي بك الى طريق السلسلة .

ويؤدي المدخل الى دهليز واسع يفضي الى ساحة سماوية مكشوفة ، يحيط بها الحواصل والبوائك والقاعات التي اعدت لخزن البضائع واقامة المسؤولين عن الوكالة . وهي من طابقين علوي وسفلي ، ويتوصل الى الطابق العلوي من ثلاثة مسالك : الاول درج يقع في صدر الساحة في الركن الشمالي الغربي منها . والدرج الثاني يكون عن يمين الداخل ، اما الثالث فهو في الركن الجنوبي الغربي في مواجهة الدرج الاول . ويوجد في الطابق العلوي الغرف والبوائك التي اعدت للاقامة وخزن السلع ، وهي ذات ابواب مستطيلة باعتاب مستقيمة ، ويدور بهذا الطابق ممشى مكشوف يطوف بدائرة ويطل على ساحة الوكالة القائمة في الوسط ، وتتزود دار الوكالة بالمياه من بئر تقع في صدر ساحتها .

أما البوائك السفلية فهي قاعات كبيرة ضخمة واسعة ، تقوم على عدة عقود قائمة على دعامات مربعة الشكل ، ويشغل احدى هذه القاعات في الوقت الحاضر مصنع للنسيج . ويوجد مسجد صغير في الطابق العلوى يقع في الركن الشمالي الغربي ، وهو بحالة جيدة فقد رمم حديثا . وبنيت دار الوكالة بالحجارة المدقوقة المشهرة واستخدم الملاط في بنائها ، وأبواب قاعاتها وبوائكها السفلى واسعة ذات عقود مدببة ، ونمط بنائها وتوزيعها يشبه نمط بناء الخانات المملوكية الموجودة في منطقة شرقي الاردن كالحسا وضبعة[٢] .

وعلى العموم فدار الوكالة في حالة جسنة ، وتحتاج الى ترميم في بعض اجزائها وقاعاتها وغرفها . وقد رممت هذه الوكالة في سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ، ومرة اخرى في العصر العثماني سنة ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) ، ويطلقون عليها الآن (الخان السلطاني) .

---

(١) سميت بطريق القرمي ، نسبة الى شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمي أحد الزهاد الورعين ، كان يسكن القدس وعرف بورعه وتلاوته للقرآن الكريم ، حتى انه ختم القرآن الكريم في اليوم والليلة ثماني مرات ، توفي في بيت المقدس سنة ٧٨٨ هـ .
(المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٥٥٧) .

(٢) للباحث ، تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٢٠١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)
المكاييل والأوزان

وأما المكاييل التي كانت مستخدمة في نيابة بيت المقدس فهي : الغرارة والغرارة تساوي ١٢ كيلا ، والكيل يعادل ٦ أمداد[١] . وكانت غرارة القدس تعادل ٣ غرائر دمشقية أي حوالي ٦١٣,٥ كغم قمح أو ما يعادل ٧٩٥ لترا[٢] . وذكرت المصادر ان بيت المقدس وعمان انفردتا (بالمدى)[٣] ، وهو غير (المد) وقد وقع فالتر هنتش في لبس فخلط بين المد والمدى[٤] . وكان مدى بيت المقدس يعادل $\frac{٢}{٣}$ القفيز ، والقفيز يعادل ٤ وبيات أو ٣٦ صاعا ، اذن فمدى القدس = ٢٤ صاعا = ١٠٠ لتر[٥] .

واستخدمت مدينة الرملة القفيز والويبة والمكوك والكيلجة ، فالويبة في الرملة تعادل $\frac{١}{٤}$ قفيز = ٣٧,٨ لترا ، اما المكوك فيعادل $\frac{١}{٢}$ القفيز ويساوي ١٩ لترا[٦] .

وشاع استخدام الرطل في اوزان نيابة بيت المقدس ، وذكرت المصادر الرطل المقدسي ، والرطل النابلسي ، والرطل الخليلي ، وجميع هذه الارطال كانت متساوية فالرطل في كل يعادل ٨٠٠ درهم ، اما الاوقية المقدسية والنابلسية والخليلية فكانت

---

(١) ابن الاخوة ، معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان ، القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٨٢,٥١ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ . والغرارة مد ونصف = ثلاثة ارادب مصرية . (صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١) . ويقول ابن قاضي شهبة ان غرارة القدس كانت تعادل غرارتين دمشقيتين (ابن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ١٩٧٧م ، ج ٣ ، ص ٥٨١) .

(٢) فالتر هنتش ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٧٠م ، ص ٦٤ .

(٣) المدى : مكيال استخدم في الشام وهو غير المد جمع امداد (محيط المحيط ، مادة مدى) .

(٤) فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٨١ . لي سترانج ، ص ٦٥ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٨١ ، فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٧٩ . وللباحث ، عمان حضارتها وتاريخها ، عما ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٩ . ولمزيد من التفاصيل عن الاوزان انظر : ابن سلام ، كتاب الاموال ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٦٨٨ — ٦٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تساوي $\frac{2}{3}$ ٦٦ درهم = ٢٠٨,٣٣ غم ، اما رطل الرملة فكان يعادل ٧٣٢ درهما = ٢,٣٣١ كغم[١] . وكانت الارطال في بلاد الشام تختلف في وزنها من نيابة الى اخرى ، فرطل دمشق كان يعادل ٦٠٠ درهم = ١٢ اوقية والاوقية تعادل ٥٠ درهما = ١٥٤,١٦٦ غم . اما رطل غزة فهو ٧٢٠ درهما ورطل الكرك ٩٠٠ درهم ، اما رطل عجلون فيعادل ١٢٠٠ درهم[٢] . واستخدم الاهالي في القدس والخليل والرملة ونابلس القنطار ويساوي ١٠٠ رطل ، وكانوا يزنون به زيت الزيتون .

أما المقاييس فاستخدم في نيابة بيت المقدس ذراع القماش[٣] ، أو ذراع البز = ٦٤,٧٧ سم[٤] ، وكانت ذراع القماش الشامي تزيد عن ذراع القماش المصري بمقدار نصف سدس ذراع ، وتعادل ٦٣ سم . أما الدور فقد اشارت وثائق المتحف الاسلامي في بيت المقدس ان قياسها يتم بذراع العمل وتعادل ٧٩,٨ سم . فالوثيقة رقم ٧٧ ذكرت وقف عشرة حوانيت بسوق الليل معقودة بالحجر والجير ارتفاعها ستة اذرعها ستة اذرع بالعمل ، وقفت هذه الحوانيت على السقاية بالقدس ولمنفعة المسلمين[٥] ، واذراع العمل هذه طولها ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل[٦] .

---

(١) فالتر هنتش ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٢٠ ، ٣٣ .

(٢) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٤) فالتر هنتش ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٥) وثيقة رقم ٧٧ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٤)
السكة

كانت المعاملات التجارية تتم في نيابة بيت المقدس عن طريق المقايضة أو بواسطة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية المسكوكة في دمشق أو القاهرة أو في انحاء اخرى من دولة المماليك[1] . وذكرت المصادر عن وجود دار السكة في بيت المقدس ، الا اننا لم نعثر على ما يشير الى استمرارها في اداء دورها في العصر المملوكي . فدار السكة في بيت المقدس واصلت ضرب السكة في العصر الاموي ، والذي وصلنا من ضرب بيت المقدس فلوس تحمل (ايليا) احدى اسماء بيت المقدس . ويحتفظ المتحف الاسلامي بالقدس بعدد من هذه الفلوس النحاسية التي تعتبر الانماط الاولى للسكة الاسلامية ، وقد ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عندما عرّب السكة . فالفلس رقم س $\frac{٥١}{٢٥٢}$ عليه صورة الخليفة عبد الملك يرتدي جبة طويلة ويغطي رأسه بكوفية تتدلى على كتفيه ، ويقبض بيده اليمنى على سيفه . وعن شمال صورة الخليفة هذه كلمة (محمود) ، وفي الجهة اليمنى من الصورة الى الاعلى كلمة (رسول الله) ، أما الظهر فعليه حرف (=) ومن اليمين (فلسطين) وعن شمالها (باليليا) وكذا الفلس رقم س $\frac{٨٥}{٢٥٢}$ يحمل نفس النقش .

وبعد ان الغي هذا النمط من السكة — الذي يحمل صورة الخليفة — لان الاسلام يقف موقفا سلبيا من التصوير ابطلت الصورة واكتفي بنقش بعض العبارات فقط . ومن انماط هذه السكة التي ضربت في بيت المقدس الفلس رقم ن ق $\frac{٩}{٢٥٠}$ الموجود في المتحف الاسلامي بالقدس والنقش الموجود عليه :

الوجه	الظهر
لا اله الا	محمد رسول الله
الله وحده	الاطار
(ضمن ثلاث دوائر)	(بسم الله ضرب هذا الفلس باليليا)

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك فلوس مشابهة لما سبق منها الفلس رقم س $\frac{٥٥}{٢٥٢}$ ، س $\frac{٢١}{٢٥٠}$ ، ويوجد فلوس مشابهة لهذه الفلوس محفوظة في بعض المتاحف ولدى المجموعات الخاصة[١] . ولم نعثر على سكة ضربت في بيت المقدس بعد العصر الاموي ، وعلى هذا النحو فان دار السكة بالقدس بطل استخدامها بعد سقوط الدولة الاموية في بلاد الشام .

أما دار السكة التي بقيت تؤدي دورها طيلة العصور الاسلامية الأخرى فهي دار سكة مدينة الرملة ، وكثيرا ما اشير اليها (بفلسطين) باعتبارها حاضرة فلسطين منذ عهد سليمان بن عبد الملك ، ودار سكتها ضربت الى جانب الفلوس النحاسية الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية . وفي العادة فان سنة الضرب على الفلوس الاموية لم تكن موجودة ، الا ان المتحف الاسلامي بالقدس يحتفظ بفلس نادر عليه سنة الضرب ١١٧ هـ ويعود لعهد الخليفة هشام بن عبد الملك رقمه س $\frac{٧٣}{٢٥١}$ ، والنقش كما يلي :

الوجه	الظهر
لا اله الا	محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	الله

ضرب هذا الفلس بالرملة سنة سبع عشرة ومئة .

وفي اطار الوجه يوجد غصن نخيل بشكل سلسلة مجدولة ، أما اطار الظهر فعليه مكان وسنة الضرب[٢] .

وقد استمرت دار السكة في مدينة الرملة تؤدي وظيفتها في ضرب السكة الذهبية والفضية في العصور الاسلامية المختلفة . وهناك مجموعات من سكة الرملة ذهبية وفضية محفوظة في المتاحف العالمية المختلفة وفي المجموعات الشخصية . وقد اورد الاستاذ سمير شما احصائية لمعظمها واكثرها ذكر فيه مكان الضرب (فلسطين) ، وفلسطين كانت تعني اذ

---

(١) سمير شما ، النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، ١٩٨٠م ، ص ٨٠ .

(٢) هناك ثلاثة فلوس اخرى ضرب الرملة عليها تاريخ : ١٠١ هـ ، ١١٦ هـ ، ١٠١ هـ ، في المتحف البريطاني والمكتبة الاهلية في باريس . (انظر : سمير شما ، النقود الاسلامية ، ص ٨١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذاك الرملة[1] . والظاهر ان دار السكة في الرملة توقفت بعد استيلاء الفرنج عليها في الحملة الصليبية الاولى سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) ، وبقيت بيد الفرنج حتى حررها صلاح الدين مع بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)[2] . أما العصر المملوكي فلا يوجد لدينا ما يثبت ضرب السكة في الرملة ، فعظم السكة كانت تضرب في دمشق والقاهرة والاسكندرية ، وقد اشار القلقشندي الى ان المعاملة في نيابة بيت المقدس تتم بالذهب والفضة والفلوس على نحو ما يتم في نيابة دمشق[3] .

وقد تعامل الناس في العصر المملوكي بثلاثة أصناف من الذهب ، فالأول هو الذهب الهرجه ، وهذا الصنف هو الذهب الإسلامي الخالص ، وهو مستدير الشكل نقش على الوجه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وعلى الظهر : اسم السلطان وتاريخ الضرب ومدينة الضرب[4] . أما الصنف الثاني فهو الذهب الا فرنتي والافلوري والبندقي والدوكات ، وهذه الدنانير كانت تجلب من بلاد الافرنج ، فالافرنتي نسبة الى فرنسا ، والافلوري نسبة الى فلورنسا ، أما البندقي والدوكات فترجع في نسبتها الى البندقية ، فحاكم البندقية يدعى دوقاً ومن هنا جاءت النسبة للدوكات . ويشير المقريزي أن هذا الصنف من الدنانير صار نقداً رائجاً في الدولة المملوكية منذ سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) ويذكر أن على وجه هذه الدنانير يوجد صورة إنسان في دائرة مكتوبة بخطهم ، أما الظهر فعليه صورتان في دائرة مكتوبة[5] . ويفسر القلقشندي هذه الصور فيذكر أن الصورة الأولى هي صورة الملك الذي ضربت السكة في عهده ، أما الصورتان اللتان على الظهر فهما لبطرس وبولس الحواريين[6] . وقد أشارت المصادر الى وجود (الدنانير

---

(١) انظر سمير شما ، النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ، ص ٩١ — ١٥٩ .

(٢) ولدى تحفظ على ما أورده الاستاذ سمير شما في كتابه (النقود الاسلامية ص ١٥٩) عن فلس نحاسي ضرب في الرملة في العصر الايوبي سنة ٥٨٠ هـ ، وهذا الفلس من مجموعة أحمد توحيد ويحتفظ به متحف الآثار باستنبول . فالرملة في هذا التاريخ كانت تحت السيطرة الصليبية ، فلم تتحرر الرملة الا سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، بعد معركة حطين ، لذا فان اعادة التدقيق والتأكيد من تاريخ الفلس امر ضروري .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٤ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٥ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصورة) في بيت المقدس[١] ، وهذه الدنانير هي التي أشرنا إليها سابقاً ، وكان التداول بها مسموحاً في العصر المملوكي . ومصدرها من الدويلات الاوروبية يحضرها الحجاج أو تصل الى القدس عن طريق المبادلات التجارية التي كانت تتم بين بيت المقدس وأوروبا عبر ميناء يافا على ساحل البحر المتوسط[٢] . وقد أقيمت المصارف لخدمة التجار الايطاليين ، فكان لكل دولة مصرف أو بنك Banque لخدمة مصالحهم وتسهيل صفقاتهم التجارية مثل : جنوا وفينيسيا ، وفلورنسا ، وبيزا[٣] . أما الصنف الثالث من الذهب الذي تعامل به الناس في العصر المملوكي فهو ذهب أقل في عياره من الصنف الاول ، وفي سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) سموه (الذهب الناصري) نسبة الى السلطان الناصر فرج[٤] .

وجرت العادة أيضاً أن يتعامل الناس في بلاد الشام بالفلوس والقراطيس ، أما القرطيس فيعادل ستة فلوس ، أما الدرهم فيعادل ٢٤ قرطيسا ، وقد أبطل الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) التعامل بتلك القراطيس في بلاد الشام ، وجعل التعامل بالفلوس فقط ، بحيث يساوي الدرهم ٢٤ فلساً[٥] .

---

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٥ .

(٢) (٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

(٣) Rey, Les Colonies Franques, p. 192.

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٦ .

(٥) ابن بهادر ، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، لوحة ٥٢٣ (مخطوط) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٥)
الموارد المالية في النيابة

وما دمنا بصدد الحديث عن الحياة الاقتصادية في نيابة بيت المقدس فلا بد أن ننوّه بـموارد النيابة المالية ، فالمعروف أن النيابات في بلاد الشام كانت ترسل قسماً من دخلها الى السلطان في القاهرة . ونيابة بيت المقدس كانت ترسل قسماً من مواردها الى السلطان ، ففي دولة المماليك الثانية (الجراكسة) كان المتحصل من جبل نابلس والقدس من زيت الزيتون كميات كبيرة . وكان السلطان في القاهرة يفرض هذا الزيت على التجار والأهالي في القدس والخليل والرملة بأسعار عالية[١] ، وكان بعض النواب يفرضون الأموال على أهالي القدس بالقوة ، ففي سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م) قرر نائبها الأمير حسن على الناس مالاً كثيراً ، فأبوا دفعه ، فقاتلهم في المسجد الأقصى وحصّل منهم الأموال بعد أن قتل بضعة عشر رجلا[٢] . أما أهم الموارد المالية للنيابة فتتمثل بما يلي :

١ ــ المكوس :

وهي ضريبة كانت تحصلها نيابة بيت المقدس على التجارة والصناعة ، وخصوصاً على السلع المجلوبة الى دار الوكالة في بيت المقدس ، وقد عين شاد دار الوكالة ليجمع هذه الضريبة من التجار والبضائع المباعة في دار الوكالة ، وكان المكوس يفرض على السلع القادمة من البحر الى ميناء يافا أو المصدرة منه ، فيؤخذ من أولئك التجار العشر مع لواحق أخرى[٣] ، وفي أحيان كان يؤخذ الخمس وربما زاد على ذلك[٤] . وكان هناك مكس الغلة ، فيؤخذ من ثمن كل غرارة ثلاثة دراهم ونصف فضة ، وكان المتحصل منها مبلغاً كبيراً ، فسبب ضيقاً للفلاحين . عندئذ عمد الناصر محمد بن قلاوون الى أبطال

---

(١) الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج ٢ ص ٣٥٦ ، ٣٥٨ .
(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١١٥٣ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ص ٤٦٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكوس الغلة بالشام كلها[1] . ويؤخذ المكوس من البضائع والسلع الواردة الى أسواق القدس والخليل الداخلية والخارجة . ونعتت المصادر هذه الضرائب الإضافية بالمظالم ، وكثيراً ما ألغى السلاطين هذه المظالم ، فالسلطان الأشرف قايتباي الغي المظالم في جبل القدس والخليل والمكوس المفروضة على البضائع المجلوبة اليهما ونقش ذلك على رخامة يحتفظ بها المتحف الاسلامي في القدس تحت رقم م ز ٢٢ هذا نصه :

١ ـــ بسم الله الرحمن الرحيم برسم مولانا السلطان المالك الملك .
٢ ـــ الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بإبطال ما أحدث .
٣ ـــ من المظالم بجبل القدس الشريف وجبل الخليل عليه السلام من الإقامة وما علي .
٤ ـــ البضائع المجلوبة الى بلد سيدنا الخليل من المكي المسمى .
٥ ـــ بالطعم وغيرها وان لا يتعرض المحتسب ولا غيره ببلد الخليل لشيء .
٦ ـــ من ذلك في تاسع عشر المحرم سنة أحد وثمانين وثمانمائة .

٢ ـــ الخراج :

ويدعى المال الخراجي ، ويحصل من الاراضي المرصدة للزراعة بأنواعها ، ومن كروم العنب والزيتون والنيلة والأرز والكبريت ، ومن الطواحين التي تدور أحجارها بمياه السيول . وكذلك ما يستأدي من الفلاحين ، وكان يسمى في بلاد الشام في العصر المملوكي (رسم الاعيادوالخميس) ، ويتكون من أغنام ودجاج وكشك وبيض ، ويكون على النواحي الاقطاعية غالباً[2] . وكان المتبع في بلاد الشام أن يتم تحصيل الخراج بعد تمام المحصول ، فان كانت حبوباً يخرج المباشرون الى البيادر ويحصلون ما يخص الديوان من الخراج . وكان شيوخ القرية وفلاحوها يعرفون عدد الافدنة في قراهم ، ولدى ديوان الأمير المقطع سجلات بعدد الافدنة ومتحصلها ، وعلى المقوّم تقع مهمة تقدير ما يجب تحصيله لبيت المال[3] . ويحدث الشيء نفسه لموسم الزيتون فيحضر المباشرون الى المعاصر ويستوفون حقوق السلطان ، ثم يعهد السلطان الى نائب بيت

---

(١) ابن بهادر ، فتوح النصر ، لوحة ٥٣٢ (مخطوط) .
(٢) النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ ص ٢٤٥ .
(٣) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدس بيع المتحصل وإرسال ثمنه الى القاهرة ، واذا كانت مزارع الزيتون قديمة (رومي) فيحصل $\frac{1}{3}$ محصولة للدولة ، وان كانت أشجار الزيتون إسلامية فيحصل منها ضريبة الخراج على أساس عدد الأشجار وسعر الزيت ، وكان يطلق عليه (محصول الزيتون الإسلامي)[1] . ويحدث مثل ذلك الى الخروب والسماق والجوز واللوز والأرز ، والكروم والبساتين والمقاثي ويسمى (خراج العين)[2] .

وجرت العادة أن تكون هناك جهات مضمنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل دون توكيل أو مقاسمة[3] . أما السكر فتؤخذ الضريبة منه بعد تمام عصر القصب وجفافه ، وكان المباشرون يراقبون عملية استخراج السكر ويسجلون ذلك في سجلات خاصة ، وبعد تمام جفافه ونقائه يأخذون الضريبة المستحقة عليه[4] . وكان نائب بيت المقدس يجبي من فلاحي الضياع في نيابته أربعة آلاف دينار سنوياً ، فخرج مرسوم سلطاني سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) أبطل هذه المغارم ، ونقش هذا الامر على لوح رخامي أثبت في جدران المسجد الأقصى[5] .

٣ ــ الجوالي :

هي ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة ، وبلغت قيمة ما يؤديه الفرد في العصر المملوكي مبلغا يتراوح بين ٢٥ ــ ١٠ دراهم سنويا ، تحصل في شهر رمضان ، ويحمل قدر معين منها الى بيت المال . ويقوم نائب بيت المقدس بتحصيل ذلك[6] ، من النصارى واليهود في نيابته والسامرة في نابلس . وكان يعين شاد لجمع الجوالي ، ويلزم مباشر الجوالي في كل سنة رئيس اليهود ، ورئيس السامرة ، وبطرك

---

(١) Hütteroth, op cit., pp. 66, 69.

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) النويري ، المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٢٦٠ .

(٤) النويري ، المصدر نفسه ، ج ٨ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨٤ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشر ، ج ٣ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النصارى أو اسقفهم بكتابة رقاع فيها اسماء طائفته ، ويسجل فيها ايضا ما يستجد على تلك الطائفة بالطوارىء والنوابت والموت وغيره[1] .

وكانت الجوالي المحصلة من بعض القرى في منطقة القدس والخليل تخصص أحيانا لاحد امراء المماليك في دمشق ، فالجوالي المحصلة من قرية (مجدل فضيل) بمنطقة الخليل كانت ترسل للامير سعد الدين مسعود بن محمد السراي أحد امراء العشرات في دمشق . انتزع هذا الحق من خدام الحرم الشريف بالقدس ، ولكن الناصر محمد بن قلاوون اصدر مرسوما في سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) ابطل هذا الاجراء ، واعاد المتحصل من جوالي قرية مجدل فضيل الى خدام الحرم الشريف بالقدس[2] .

واعتاد بعض النواب جمع ضريبة اخرى من أهل الذمة من القدس عند قدوم خلعة السلطان أو تعيين نائب جديد . ولكن السلطان جقمق ابطل هذه الضريبة واصدر مرسوما بذلك سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) نقشه على لوحة رخامية اثبتها في الحرم الشريف . وقد وصل الينا هذا النقش المكون من خمسة اسطر ويحتفظ به المتحف الاسلامي بالقدس تحت رقم م ز ١٦ نصه :

١ — برز المرسوم الشريف السلطان المالكي الظاهري أبو سعيد جقمق .
٢ — عز نصره بأن يبطل ما على الذمة بالقدس الشريف من الخدمة والقدوم عند
٣ — حضور النائب الجديد من عند (الباين) خلعة وان لا يكلفوا الجزية
٤ — الشرعية ومنع التقدمة (من السلاطين) من التعرض لهم وان يكون
٥ — ناظر الحرمين الشريفين متكلما عليهم بتاريخ شهر جمادي الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثمان ماية .

والظاهر ان نصارى بيت المقدس نالوا حظوة خاصة لدى السلطان جقمق ، ففي السنة التالية ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) اصدر مرسوما نقشه على قطعة من الرخام ابطل فيه الضمان الذي كان يؤخذ من رهبان دير الارمن بالقدس ونص المرسوم :

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ج ٨ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وانظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣١٠ عن مباشر الجوالي في دمشق .
القوارىء : الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه .
النوابت : أي النشيء الصغار عندما يصلون سن البلوغ .
(٢) وثيقة رقم ٦ من وثائق المتحف الاسلامي بالقدس . وانظر نص المرسوم في الملاحق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

برز مرسوم مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد محمد جقمق عز نصره بابطال ما احدثه أبو الخير ابن النحاس من ضمان مار يعقوب دير الارمن بالقدس الشريف على ما رده (؟) سيف الدين المقر الشرقي الانصاري وسأل في ابطال ذلك ليسطر في الصحائف الشريفة بتاريخ اربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة الشريفة ملعون ابن ملعون وعليه لعنة الله تعالى من احدث ضمانا ، أو جدد مظلمة[1] .

٤ ـــ الرسوم المفروضة على الفرنج (الحجاج) :

كانت حركة السياحة وزيارة الاماكن المقدسة في نيابة بيت المقدس سهلة وميسرة للفرنج ، فينزل الزائرون والحجاج القادمون من اوروبا في ميناء يافا بندر بيت المقدس على البحر المتوسط . ويقدم لهم النائب كل التسهيلات الممكنة ، ويعين عددا من الجند لحمايتهم وايصالهم الى بيت المقدس عن طريق الرملة . وبالمقابل كانت الدولة المملوكية تستوفي رسوما خاصة منهم ، يدفعونها حال نزولهم الى البر[2] . وكان السلطان يرتب شخصا من قبله لجمع هذه الضريبة ، فقد تولاها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) شرف الدين قاسم ، وبهاء الدين أبو بكر بن غانم ، وتم ذلك بتوقيع شريف سلطاني من القاهرة[3] ، ولكن المصار لم تذكر قيمة ما يحصل من كل حاج .

---

(١) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), pp. 332-333. ورد في النقش اسم أبو الخير ابن النحاس ، وهو وكيل بيت المال في القاهرة ، قال ابو المحاسن انه شخص من الباعة . عينه السلطان جقمق سنة ٨٥١ هـ في هذا المنصب وهو الذي احدث هذه الضريبة على رهبان دير الارمن بالقدس . (النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٣٧٥) .

(٢) ذكر الرحالة الذين زاروا القدس في القرن الخامس عشر الميلادي هذه الضريبة . انظر : نقولا زيادة . رحلة فيلكس فابرى ، بحث القي في مؤتمر بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٨ .
ومحمود زايد ، دراسة للتقسيمات الادارية في فلسطين ، بحث القمي في مؤتمر بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٠م ، ص ٧ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ص ٤٦ ، ٤٧ .
راجع نص التوقيعين في الملاحق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ — متحصل كنيسة القيامة :

وتؤخذ هذه الضريبة من الزائرين لكنيسة القيامة ومن القاطنين فيها من رجال الدين ، وعين لها موظف خاص سمي (شاد متحصل قمامة) ، وكان يتولاها بتوقيع خاص من السلطان في القاهرة[١] . وقد اورد القلقشندي صورة هذا التوقيع ، يطلب السلطان من متوليها استعمال الشدة واللين والدقة في جمع هذه الضريبة ، والرأفة بالضعفاء وغير القادرين من القسس والرهبان . وكانت هذه الضريبة تؤخذ على الرأس ، وهي تختلف عن الرسوم المفروضة على الحجاج القادمين لزيارة القدس عن طريق يافا وغيرها . وكان جزء من متحصل الكنيسة يرصد للانفاق على بناء القلاع والمهمات الاخرى ، ففي سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) خصص نصف متحصل كنيسة القيامة لاعمار قلعة دمشق[٢] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٢ ص ٣٣٦ ، وانظر نص التوقيع في الملاحق .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١٠٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٦)
الأوقاف

الوقف لغة الحبس ، ويقصد به تلك الاراضي والمنشآت التي يخصصها المسلمون لاغراض دينية أو للمجاهدين والفقراء ، أو لليتامى وفك رقاب العبيد ، واما لبناء المساجد والحصون والبيمارستانات والمدارس والزوايا والاربطة والخانات أو لغيرها من المنافع العامة[١] . والاوقاف خاصة ورسمية ، فالخاصة يوقفها بعض الاتقياء والامراء والاغنياء وربما بعض العامة . والرسمي يكون من قبل الخليفة أو السلطان أو الحاكم للنفقة على بعض المنشآت الدينية والاجتماعية العامة[٢] .

ووجد في نيابة بيت المقدس العديد من المؤسسات العامة ، فالمسجد الاقصى وقبة الصخرة والمدارس الكثيرة ، والخانقاوات والاربطة ، والحرم الابراهيمي في الخليل والمؤسسات الاخرى في نابلس والرملة ، كل تلك المنشآت وقف عليها المسلمون الاوقاف العديدة في مصر والشام . وكان ريع تلك الاوقاف يرصد للنفقة على تلك المؤسسات ، وشكل هذا دخلا جيدا لنيابة بيت المقدس . وعين لكل وقف ناظر يشرف على شؤون وقفه ، فناظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل كان من مهامه الاشراف على اوقاف الحرمين من نفقة وترميم وتعمير واصلاح .

ونصت الوثائق على وقف العديد من دور بيت المقدس على مصالح المسجد الاقصى أو الخانقاه الصلاحية ، أو البيمارستان الصلاحي . ولدينا في المتحف الاسلامي في بيت المقدس ٧٥٠ وثيقة معظمها وقفيات وقفها اصحابها على المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية في بيت المقدس والخليل . من ذلك الوثيقة رقم ٢٠ سنة ٧٦٨ هـ واقفها جعفر بن محمد بن أبي بكر من القدس الشريف ، وقف عمارة الدار الكائنة بالقدس بخط

---

(١) السبكي تقي الدين ، التهيد فيا يجب فيه التحديد ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٦ م ص ٨ .

(٢) محمد عبيد الكبيسي ، احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ١ ص ٣٨ ، وللباحث ، القرية الاردنية الفلسطينية في العصر المملوكي في ضوء وقفية قرية آدر ، بحث قدم للمؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره ، اكسفورد ، ١٩٨٠ م ، ص ١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باب العامود بعد مماته على مصالح البيمارستان الصلاحي في بيت المقدس ، ونصت الوثيقة (بأنه وقف صحيح شرعي مؤبد . وحبس دائم محلل لا يباع ولا يوهب ولا يملك ما دامت الارض والسماوات)[١] .

أما الوثيقة رقم ٥٤ تاريخ ٧٨٣ هـ فواقفها جمال بن عبدالله . وقف داره الكائنة في القدس على الخانقاه الصلاحية ، يصرف ريعها على الفقراء المقيمين بها والواردين اليها وقفا صحيحا مؤبدا ، على الاّ تباع أو توهب ولا ترهن[٢] .

ونصت الوثيقة رقم ٤٣ على وقف (خان العناية) الكائن بباب حطة على المدرسة الصلاحية في القدس[٣] . ومن الاوقاف الهامة التي وقفت على مصالح المسجد الاقصى (دار الوكالة) التي كانت تؤجر بمبلغ ٤٠٠ دينار سنويا تورّد الى ناظر الحرمين بالقدس[٤].

وهناك المئات من الوقوف في القدس والخليل حبست لمصالح المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية السالفة الذكر . من ذلك سوق العطارين ، وقفه صلاح الدين على شؤون المدرسة الصلاحية ، وسوق الخضروات وسوق القماش الواقعة قرب باب الخليل ، وقفها صلاح الدين الايوبي على مصالح المسجد الاقصى . ومنها الوقف الذي وقفه الامير عبدالله بن عبد ربه بن عبد الباري سنجر الدواداري الصالحي على الخانقاة الدويدارية في القدس سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ، وشمل هذا الوقف اماكن متعددة في فلسطين والشام ، منها قرية بير نبالا[٥] ، وقرية حجلا من اعمال اريحا ، ودار ومصبنة وستة حوانيت ، وورّاقة وحمّام الملكة في مدينة نابلس ، وثلاثة بساتين ، وثلاثة حوانيت في بيسان ، وقرية طبرس من اعمال قاقون[٦] . وفي سنة ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) وقف السلطان حسام الدين لاجين ضيعة الاقسّا من عمل يافا والرملة على مصالح جامع ابن طولون في القاهرة ، وقد استثنى من هذا الوقف المسجد والطريق والمقبرة[٧] . ولم تكن

---

(١) وثيقة رقم ٢٠ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٢) وثيقة رقم ٥٤ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٣) وثيقة رقم ٤٣ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .

(٤) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٥) وتسمى الآن (بير نبالا) وهي قرب القبيبة .

(٦) Van Berchem, Corpus inscriptionum, (Jerusalem), p. 214.

(٧) السبكي تقي الدين ، التمهيد فيما يجب فيه التحديد ، ص ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاوقاف محصورة في القدس بل نصت الوثيقة رقم ٢٢ سنة ٧٠٧ هـ على وقف احدى القرى في معاملة القدس يصرف ريعها في جامكية (راتب) الخطيب والمؤذن ومصالح السقاية في القدس الشريف[١] . ونصت الوثيقة رقم ٥٠ على وقف احكار على الحرم الخليلي[٢] . أما الوثيقة رقم ٧٧ فنصت على وقف عشرة حوانيت في سوق الليل معقودة بالحجر والجير ارتفاعها سنة اذرع بالعمل ، ومعها بئر ماء عمقها اربعون ذراعا ، وقفت على السقاية بالقدس ولمنفعة المسلمين[٣] . ونصت وثيقة اخرى مؤرخة في سنة ٧٥٢ هـ على وقف الحانوتين الكائنين بطريق الوكالة على مصالح الرباط الركني الصلاحي .

ولم تكن الاوقاف حكراً على المؤسسات الدينية الإسلامية ، بل وجدت أوقاف للنصارى وقفوها على كنيسة القيامة أو البطركية ، فالوثيقة رقم ٤٦ هو سند إيجار تاريخه ١٩ محرم ٧٤٧ هـ ، استأجر بموجبه الشقيقان داود بن نصر وأحمد بن نصر (حمام البطريرك) في القدس الشريف ، من أوقاف البطركية المقدسية ، بإيجار قدره ١٣ درهم فضة نقرة يومياً ، عشرة دراهم أجرة الحمام وثلاثة لتنظيفه . واستلم المؤجر منهم سلفاً مبلغ ٣٠٠ درهم أجرة شهر كامل ، ونصت وثيقة الإيجار أن على المستأجر نزح البركة من المياه[٤] . وذكر مجير الدين الحنبلي أن اليهود امتلكوا كنيسا في القدس وأوقافاً خاصة بهم[٥] .

ومن الطريف أن هناك وثيقة رقم ٨٤ وقف صاحبها ممتلكاته على مصالح المسلمين ، وهي ممتلكات بسيطة تشتمل على كمية من البرغل ، وطراحة بوجه قدسي ، وبساط ، وعسلية بها قمح ، وكوز من شحم مذاب[٦] .

والوقف في الإسلام أدى خدمات دينية وإنسانية وإجتماعية وإقتصادية وثقافية كبيرة ، وهو أسمى ما وصل إليه المجتمع الإنساني من تعاون وتآلف وتحابب . فمن جملة الأوقاف ذات النفع العام ، ما ذكره ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري ، فذكر أن الأوقاف

---

(١) وثيقة رقم ٢٢ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٢) وثيقة رقم ٥٠ من وثائق المتحف الاسلامي في القدس .
(٣) وثيقة رقم ٧٧ من وثائق التحف الاسلامي في القدس .
(٤) وثيقة رقم ٤٦ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .
(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠١ .
(٦) وثيقة رقم ٨٤ من وثائق المتحف الإسلامي في القدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بدمشق لا تحصر أنواعها منها : (أوقاف على العاجزين عن الحج) ، تصرف لمن يحج عن هؤلاء لمن يحج عن هؤلاء العاجزين . ثم (أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن) ، يرصد ريعها للفتيات اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن للزواج ، ومنها (أوقاف لابناء السبيل) ، وهم المنقطعون عن بلادهم ، فيعطون ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم . ومنها (أوقاف على تعديل الطريق ورصفها) ، ترصد لرصف أزقة وشوارع مدينة دمشق حتى يسهل السير والمرور فيها[١] .

ومن الأوقاف الجديرة بالاهتمام ما سمي بدمشق (أوقاف الأواني) ، فذكر ابن بطوطة أنه شاهد مملوكاً سقط من يده صحفة من الفخار الصيني ، فجمع شقفها وحملها لصاحب أوقاف الأواني ، فدفع الناظر له ما اشترى به مثل ذلك الصحن (وهذا من أحسن الأفعال فان سيد الغلام لا بد له أن يضربه عن كسر الصحن أو ينهره ، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب)[٢] .

وحظيت الأوقاف في بيت المقدس باهتمام السلاطين المماليك ، فعينوا من يشرف عليها ويعمرها ويحميها ، فالظاهر بيبرس عند زيارته للقدس سنة (٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) كشف أحوال البلد وما يحتاج اليه المسجد الأقصى من العمارة . ثم نظر في الأوقاف ، وكتب بحمايتها ، ورتب خمسة آلاف درهم ، تصرف سنوياً برسم مصالح المسجد الأقصى[٣] . ووقف عدة قرى بأعمال الشام والقدس ، يصرف ريعها في ثمن خبز ونعال لمن يرد الى القدس من المشاة . ثم بنى خانا خارج القدس وقفه لخدمة المسافرين والزائرين الى المدينة المقدسة[٤] ، وأعاد ترتيب السماط بمدينة الخليل ، لإطعام زوار الحرم الخليلي[٥] . أما في سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) فقد زار السلطان فرج بن برقوق بيت المقدس وتصدق بخمسة آلاف دينار ذهباً ، وبعشرين ألف درهم فضة على الأهالي والأوقاف[٦] .

---

(١) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٩٩ .
(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٠٠ .
(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٤٩١ .
(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٢١ .
(٥) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ق ٢ ص ٥٠٥ ؛
ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٤ .
(٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٠٨ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٨٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجرت العادة أن يرسل السلطان كاشفاً لينظر في أحوال أوقاف بيت المقدس ، وكان نظار تلك الأوقاف يجمعون له مبلغاً من المال ، فبلغ هذا المبلغ في سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) ١٢٠٠ دينار فجمعوا من أوقاف المسلمين ٩٠٠ دينار ، و ٣٠٠ دينار من أوقاف أهل الذمة[١] .

(١) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٨ وأنظر ص ٨٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

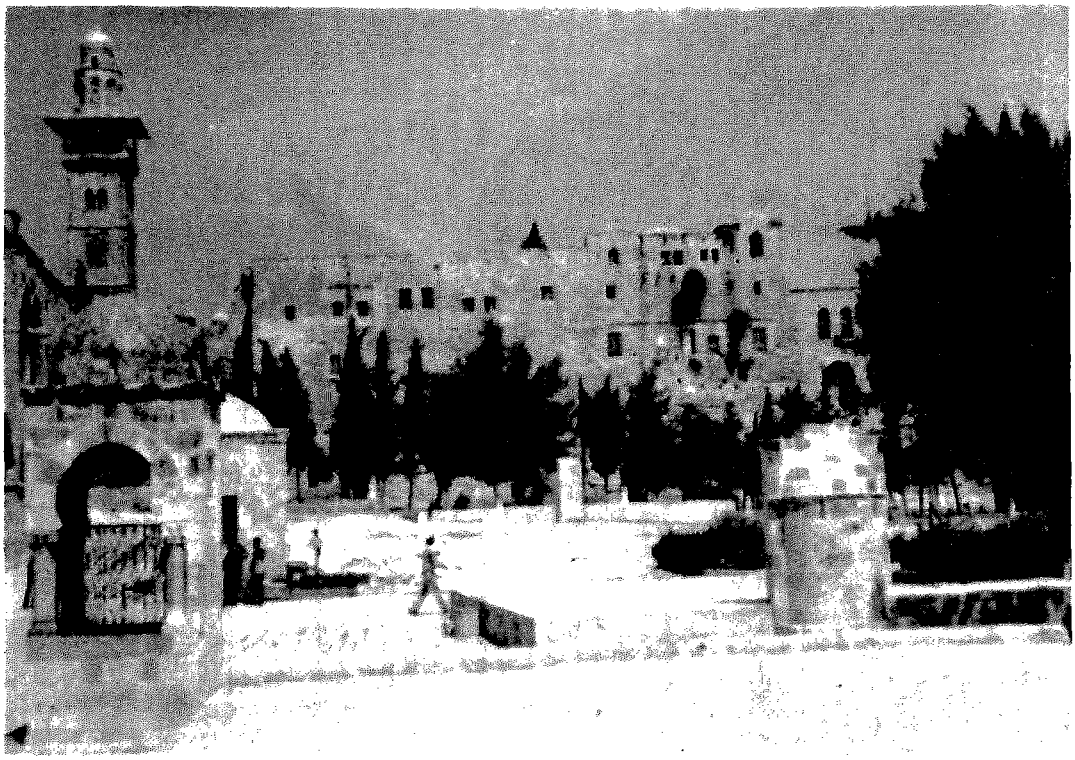

منظر لواجهة المدرسة الجاولية من الجهة الجنوبية

الساحة الداخلية في المدرسة الجاولية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

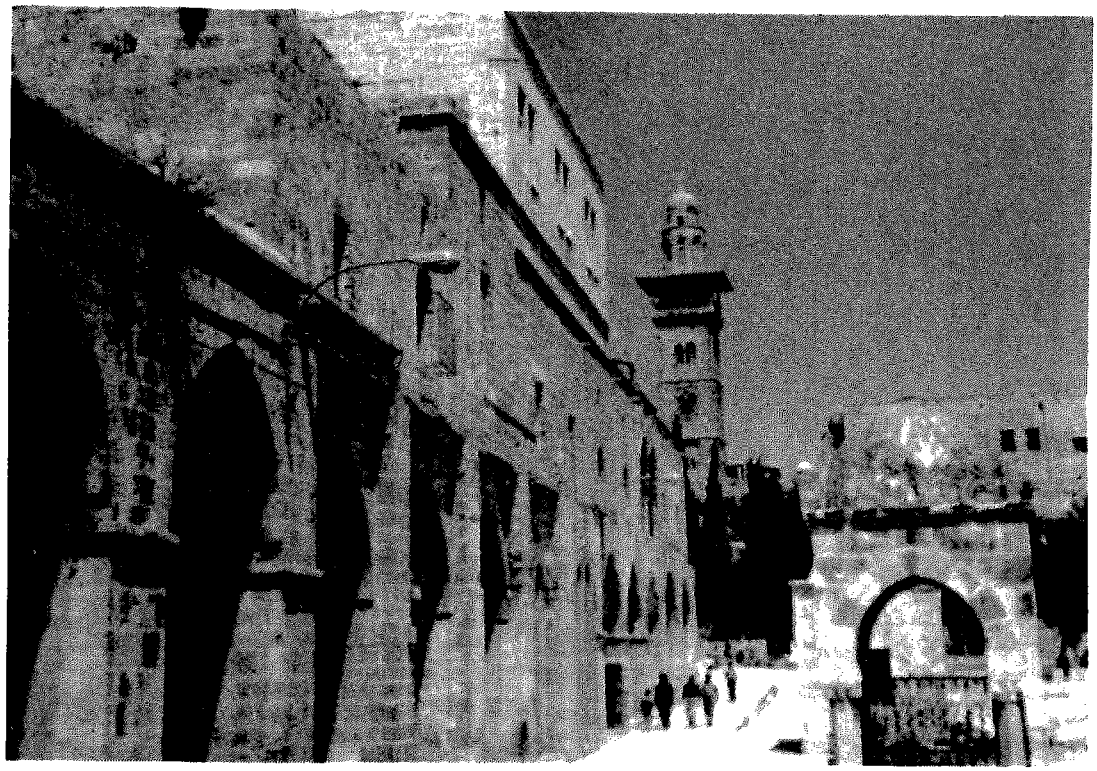

منظر المدرسة الأشرفية من الواجهة الشرقية

المدرسة الأشرفية من الواجهة الشرقية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخان السلطاني

الخان السلطاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منارة الفوانيه وجزء من المدرسة الجاولية . — باب الفوانيه ثم المدرسة المنجكية والمدرسة الحسنية .

المدرسة المنجكية والمدرسة الحسنية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

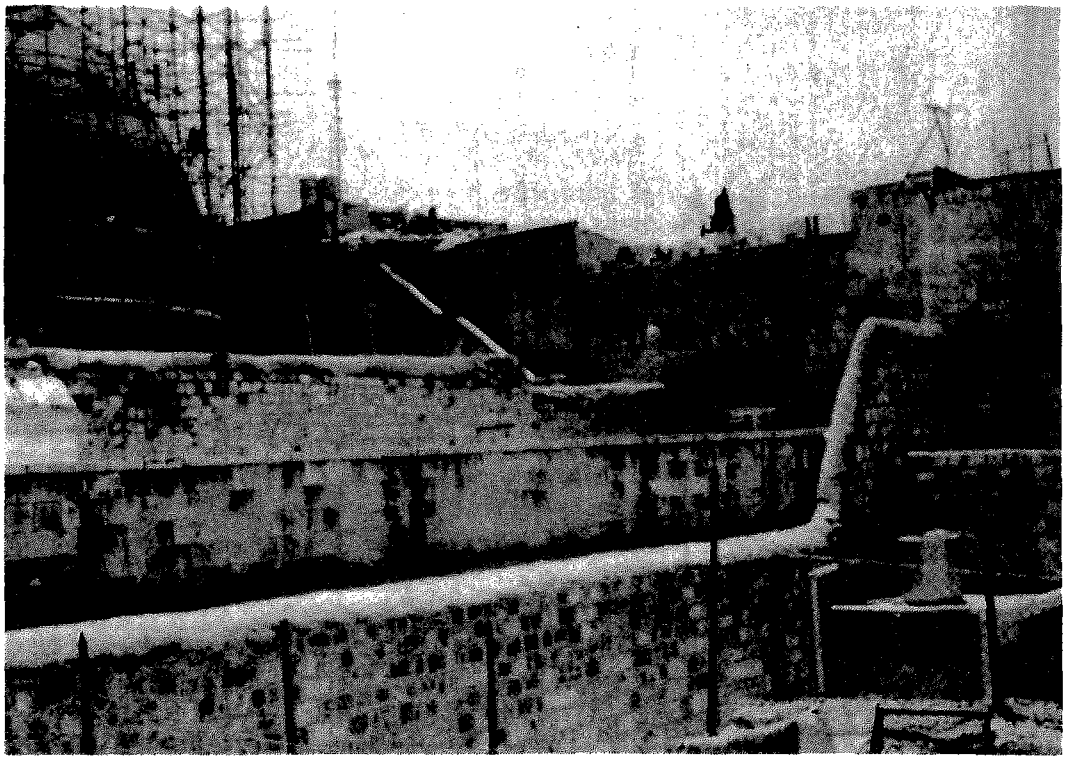

منظر يوضح الجدار الفاصل بين الخانقاة الصلاحية وكنيسة القيامة حيث تظهر قبة كنيسة القيامة

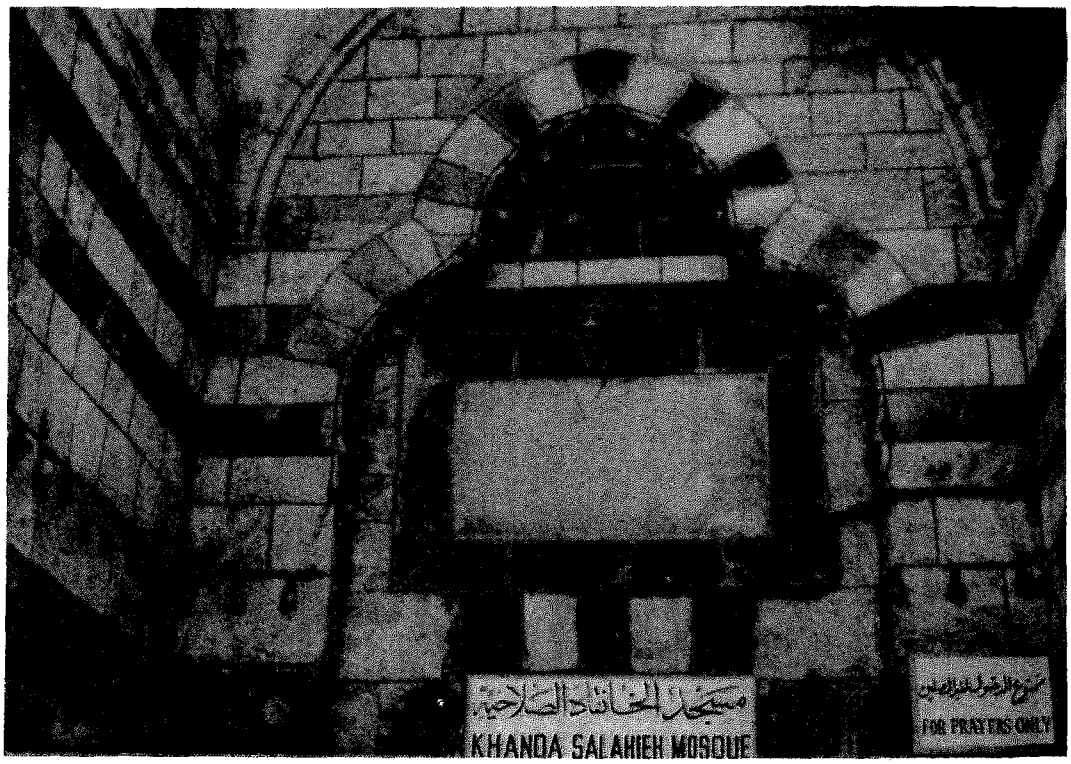

الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

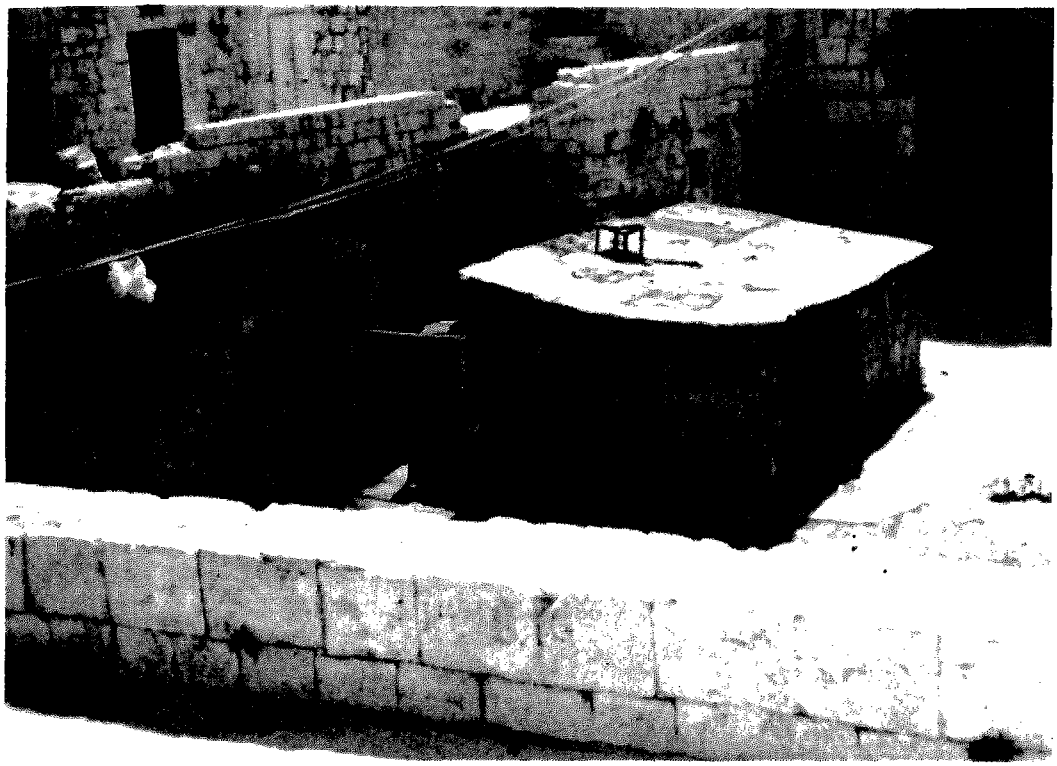

ساحة الخان السلطاني

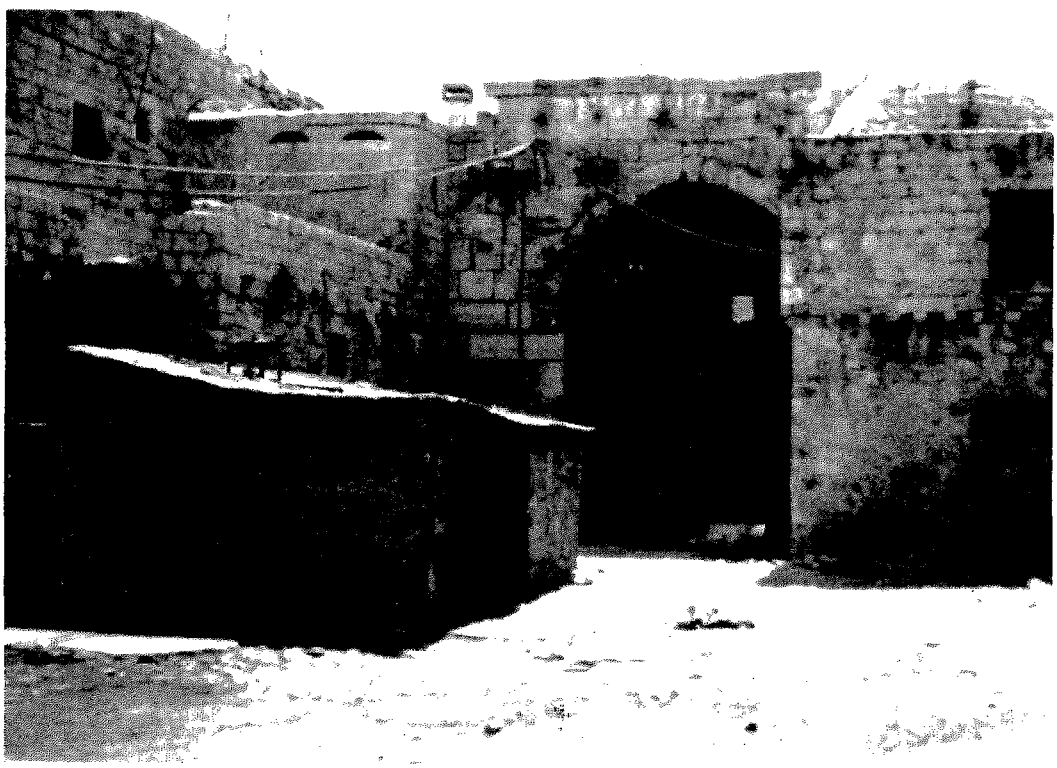

الخان السلطاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

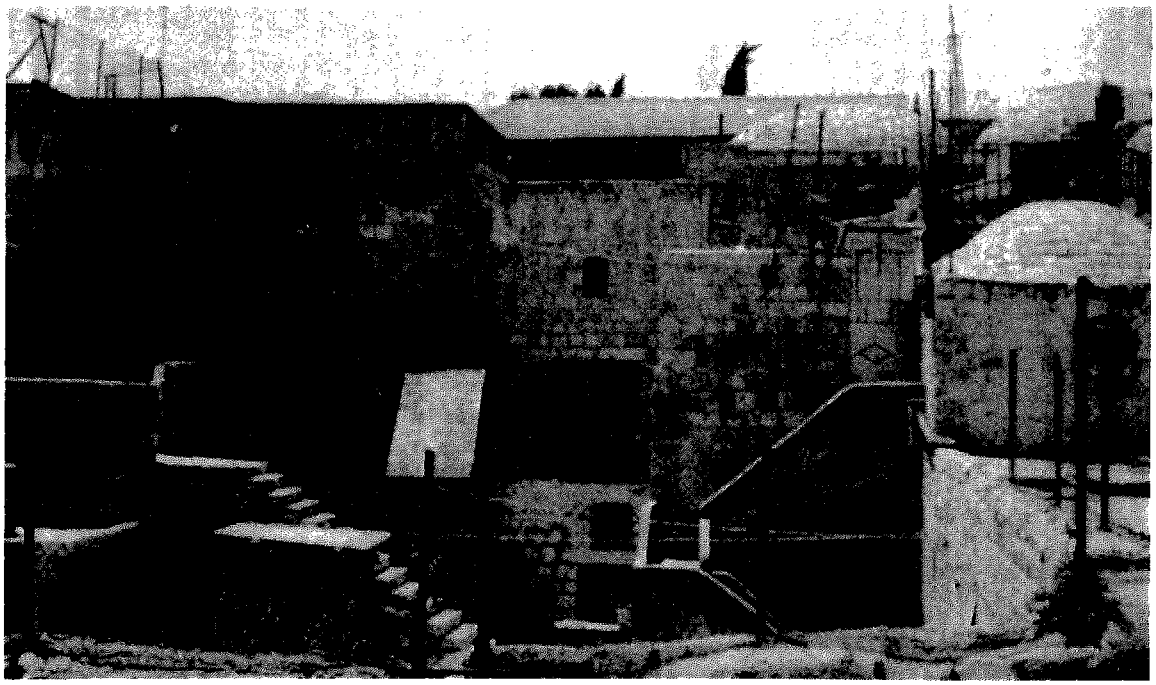

منظر الخانقاة الصلاحية مأخوذ من الجهة الشرقية (اي الواجهة الشرقية)

الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية ـ جهة الشرق

مئزنة جامع الخانقاة الصلاحية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

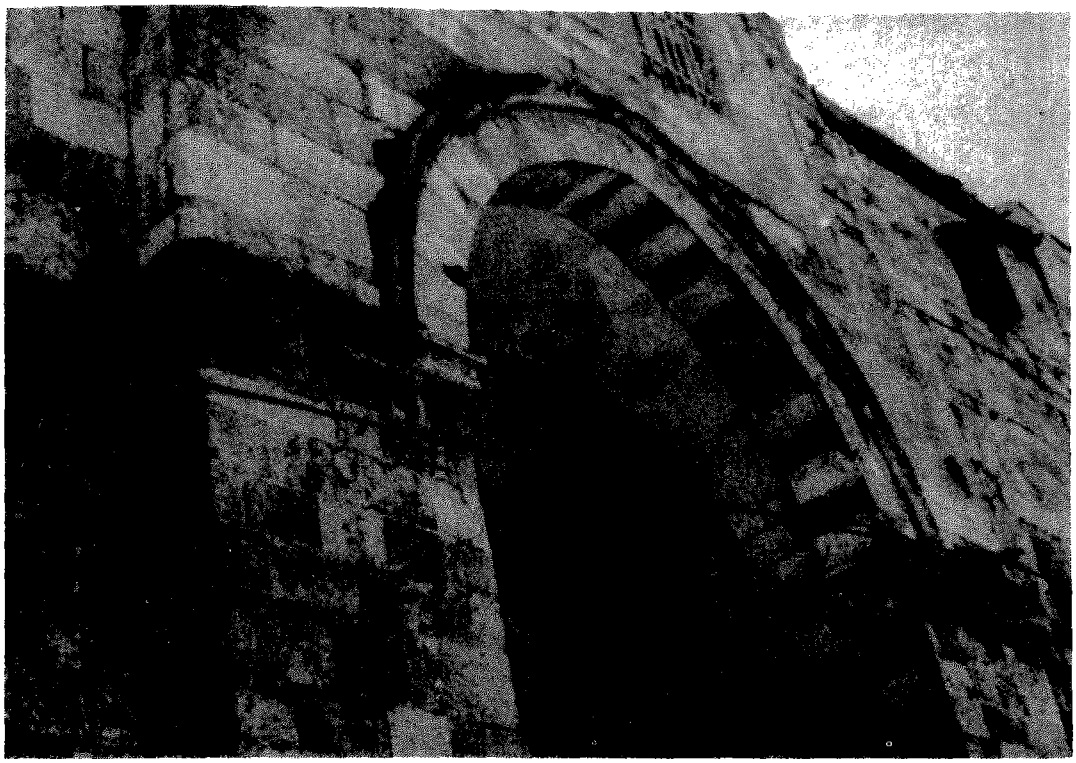

الجزء العلوي لواجهة مسجد الخانقاة الصلاحية

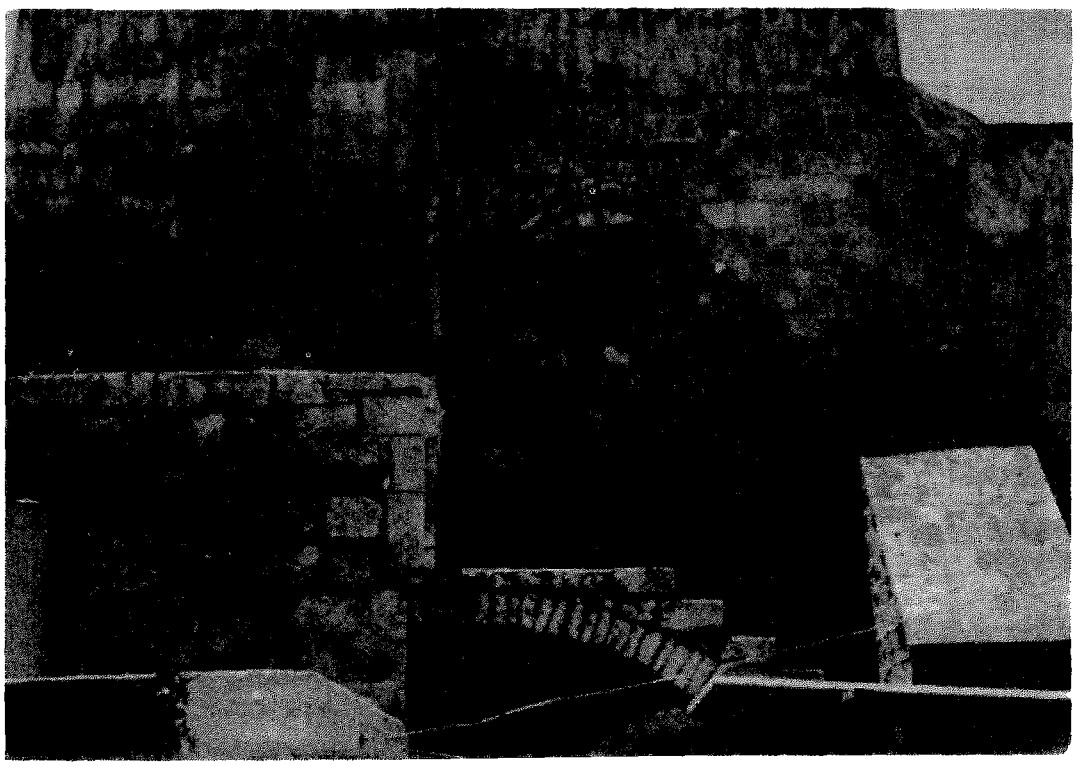

منظر آخر يوضح الخانقاة الصلاحية من جهة الشرق ويوضح العقود والدعامات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

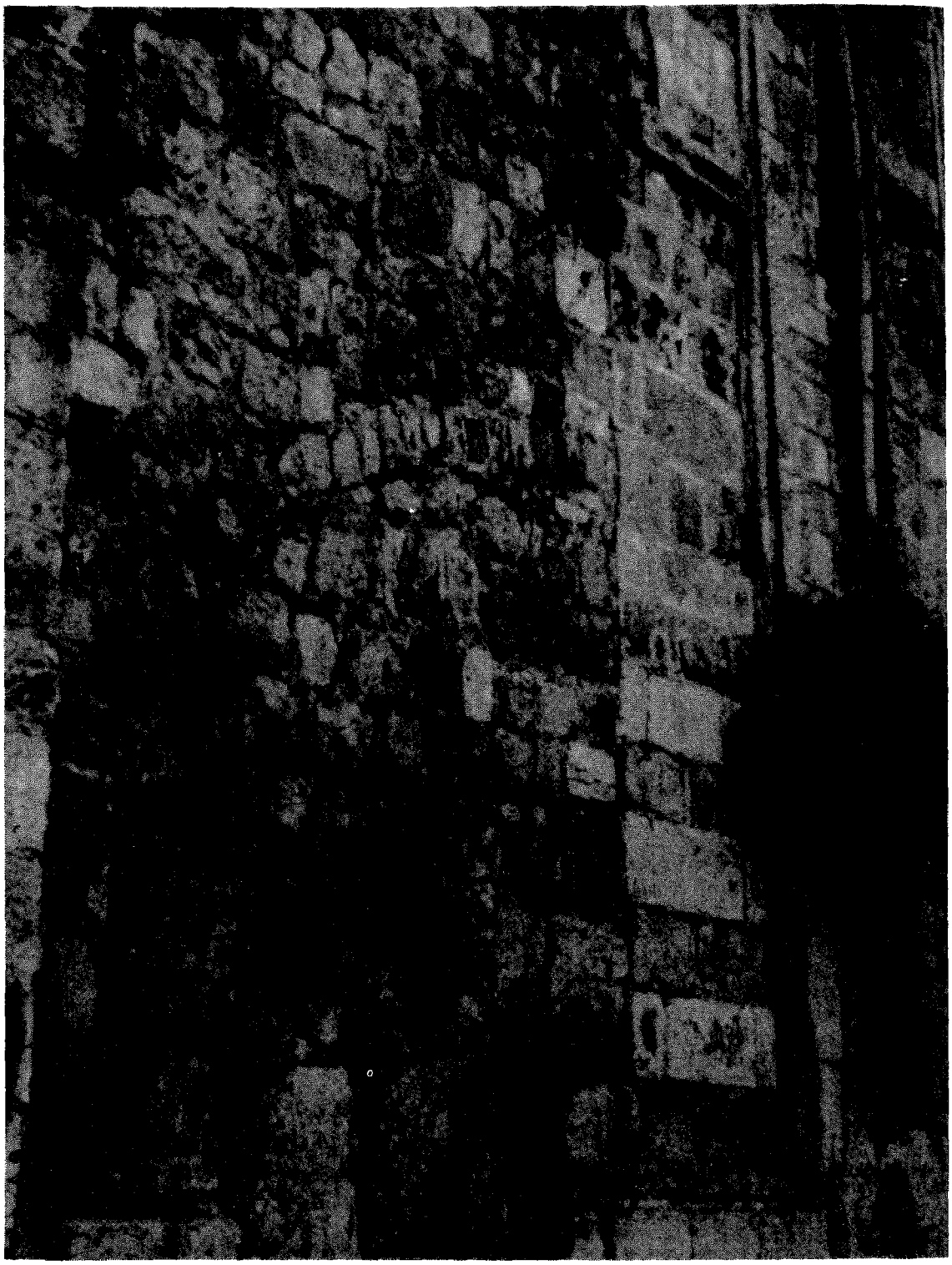

المدخل الرئيسي للمدرسة الجاولية من الجهة الشمالية يؤدي الى طريق الآلام (الباب مغلق)

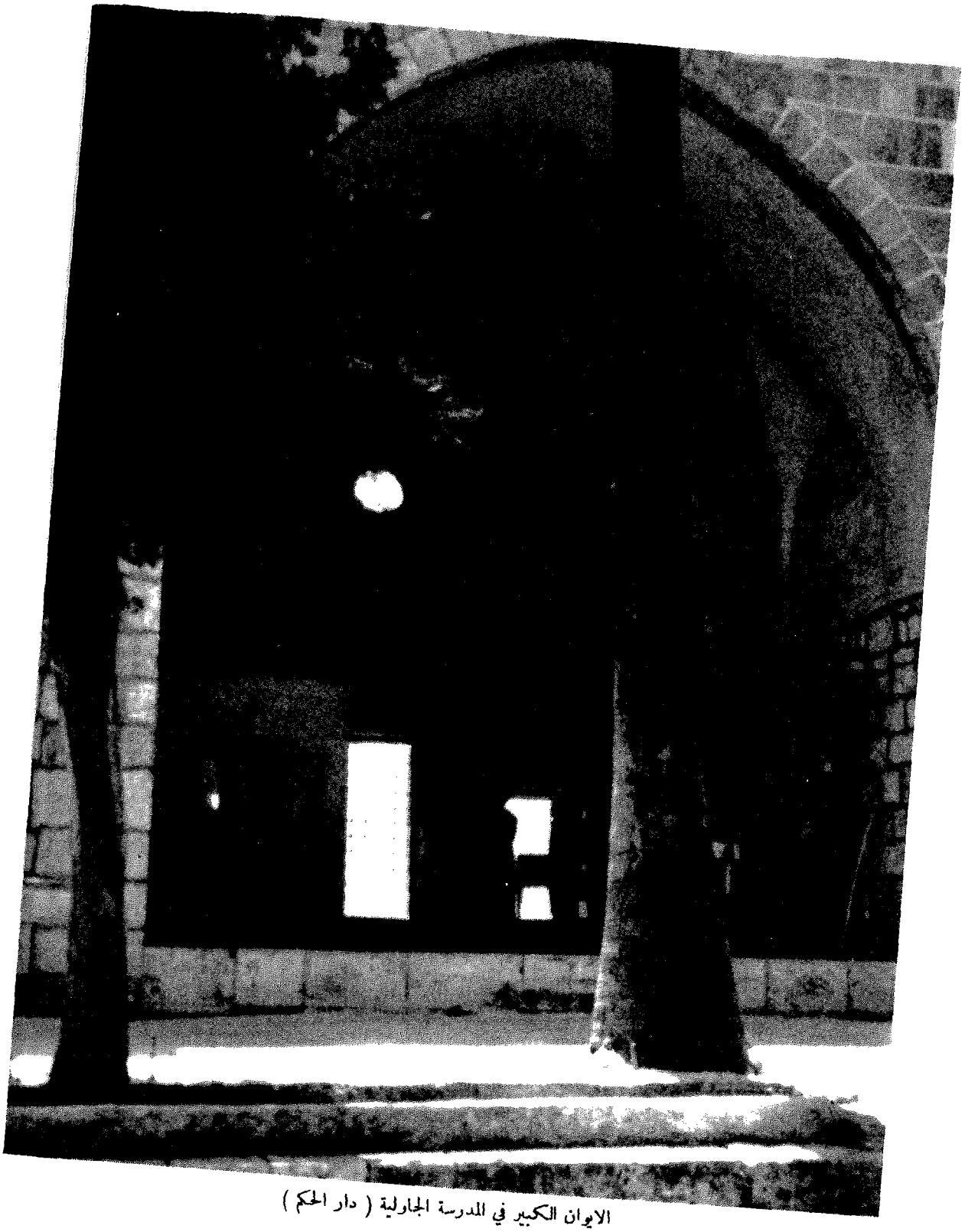

الايوان الكبير في المدرسة الجاولية (دار الحكم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

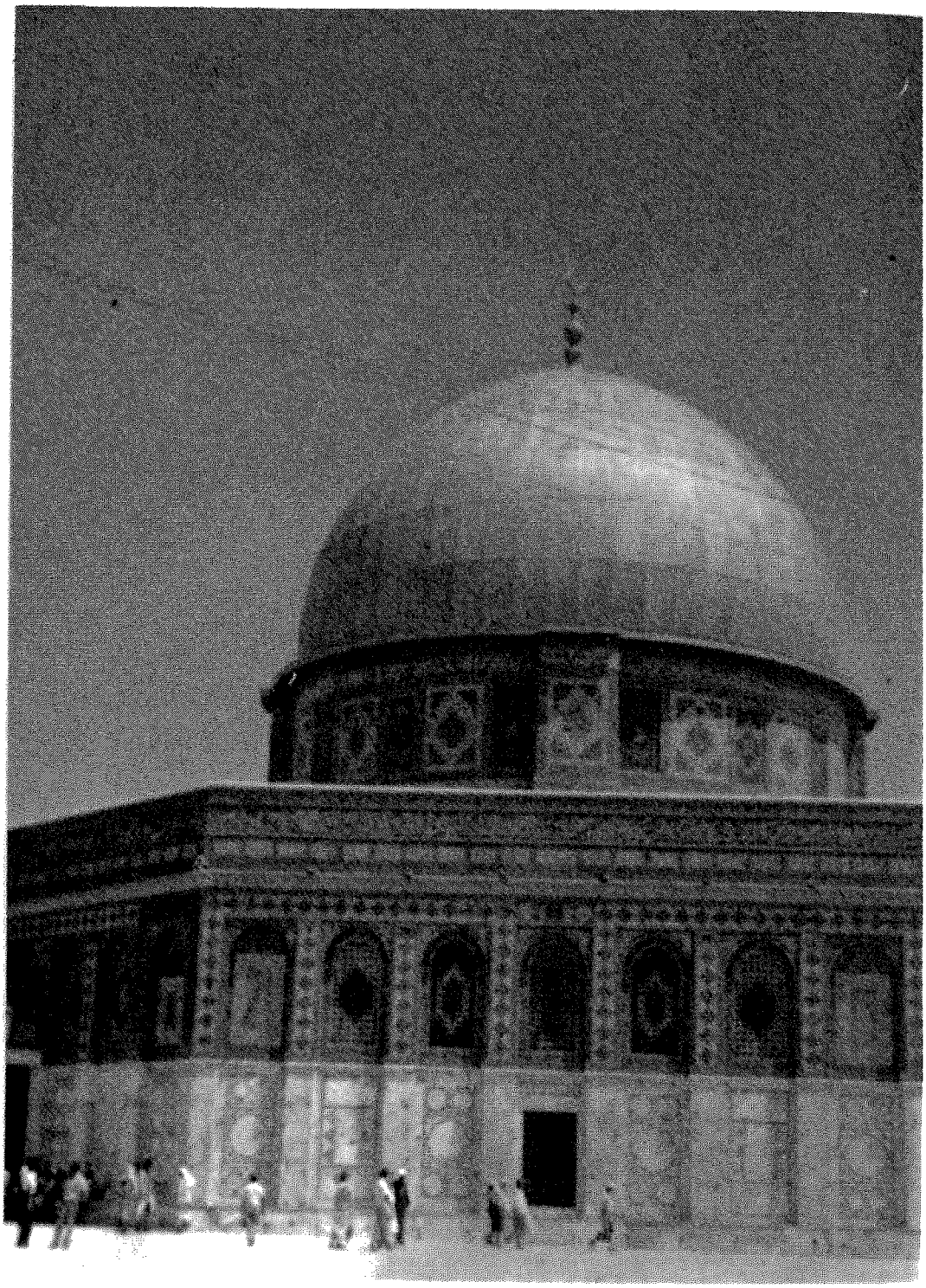

مسجد الاقصى – الجهة الخلفية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مئزنة المدرسة الأشرفية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

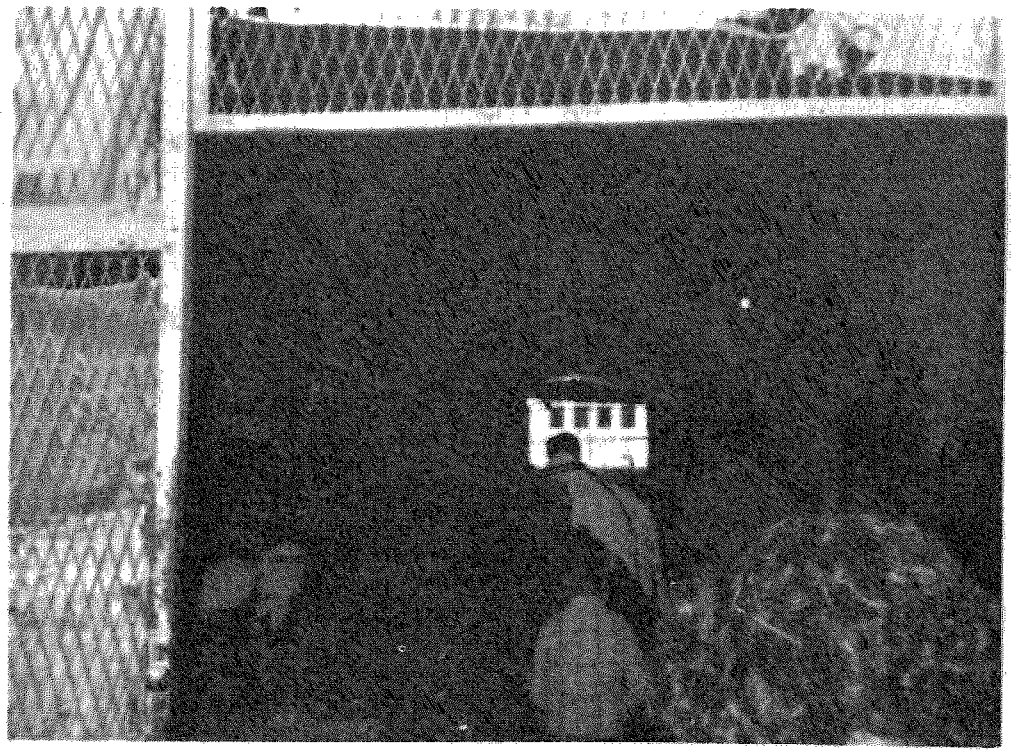

البيمارستان الصلاحي

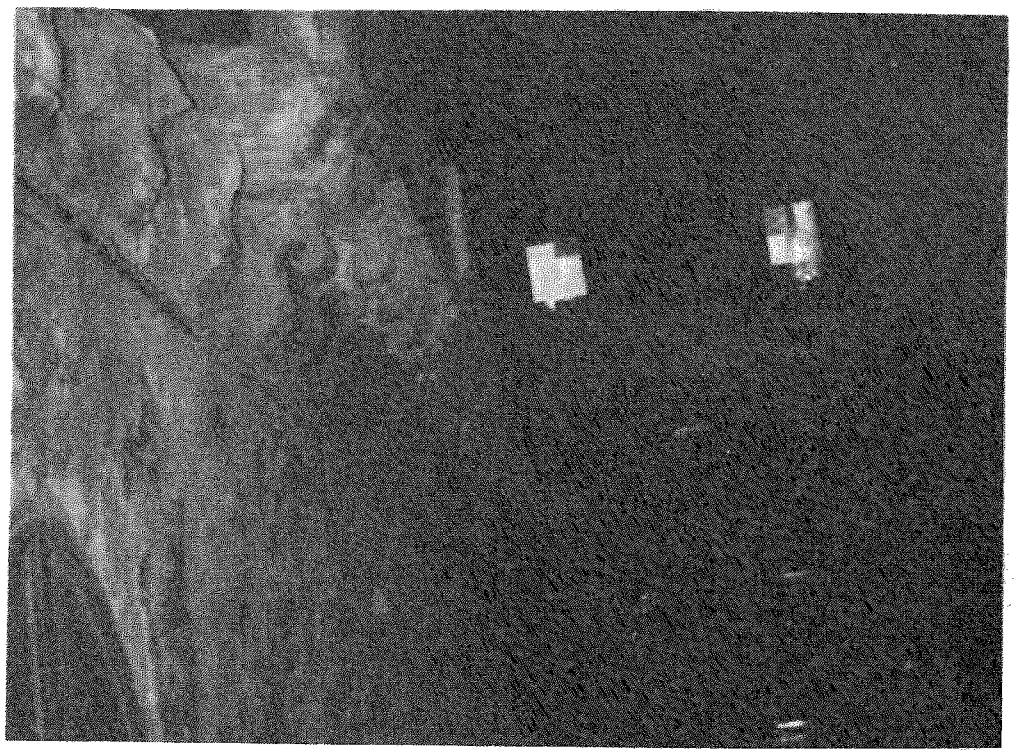

البيمارستان الصلاحي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

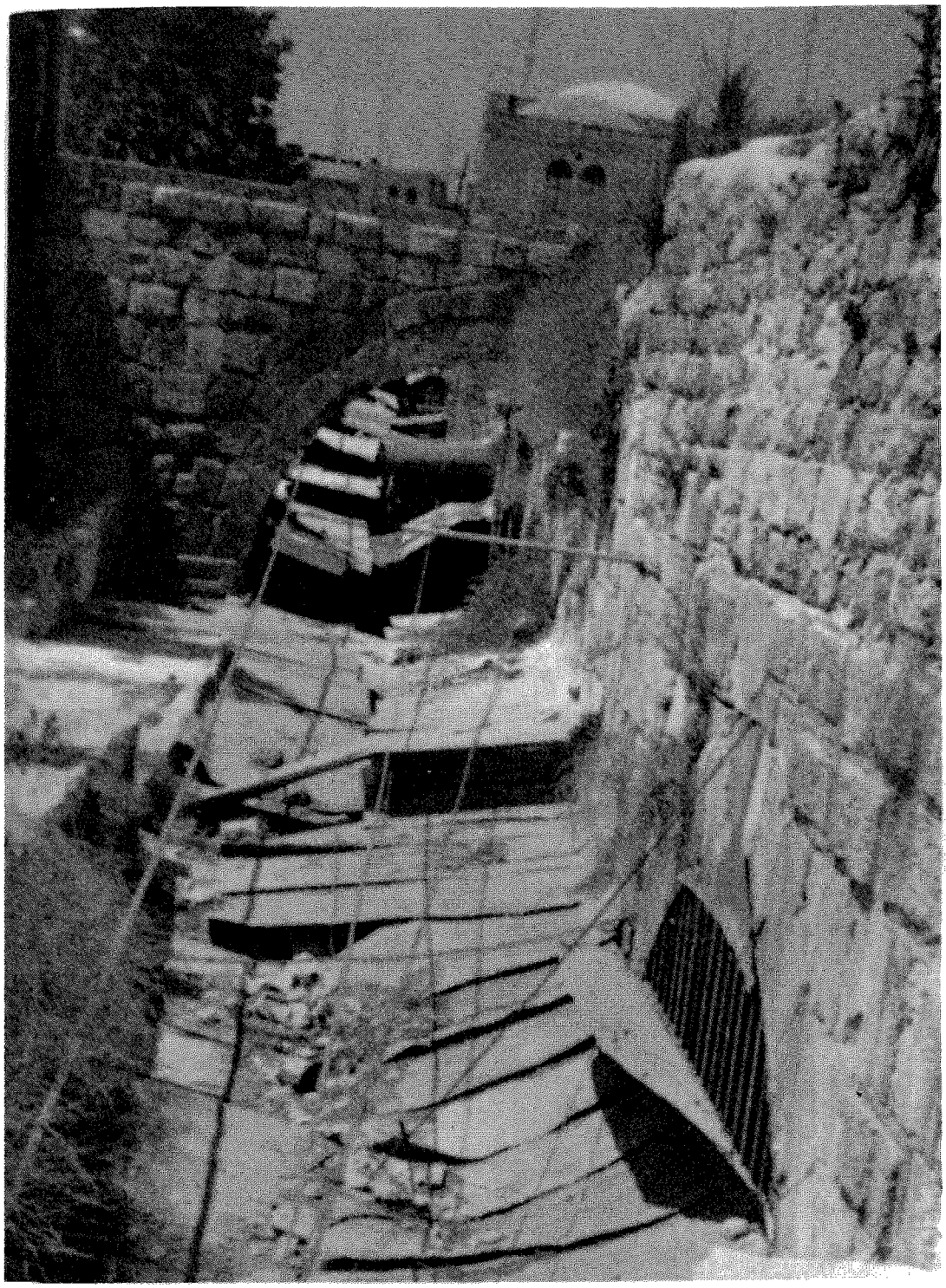

ابواب البيمارستان الصلاحي من الاعلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

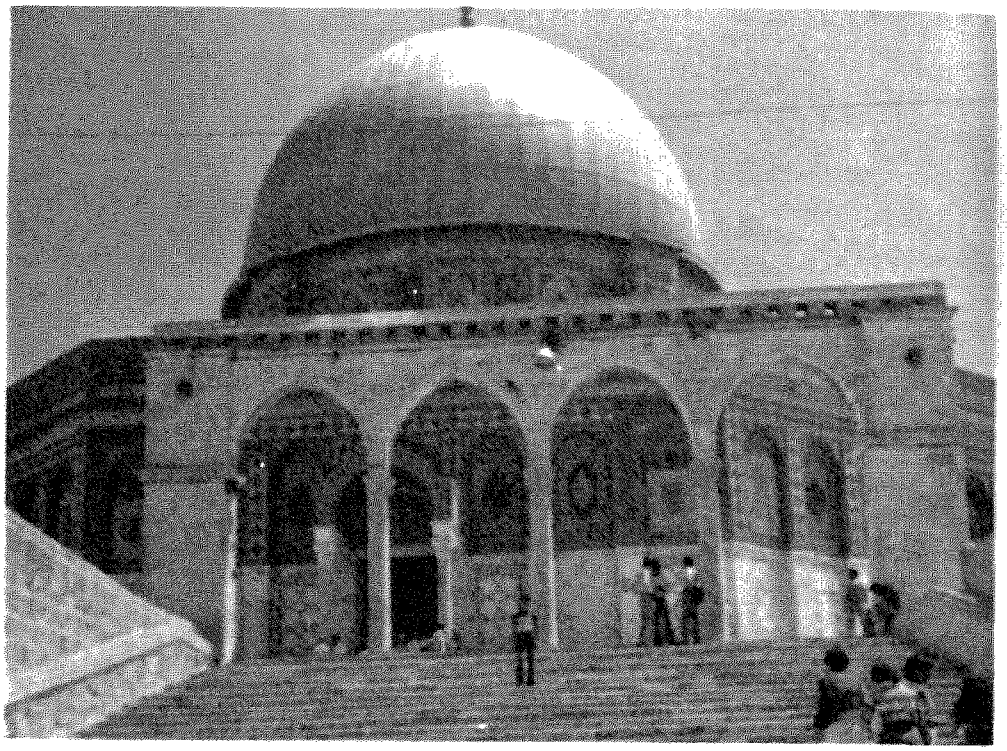

مسجد الاقصى – الجهة الامامية

مسجد الاقصى – الجهة الخلفية